إيليا أبو ماضي



شعر

دار العلم للملايين
بيروت

الطبعة الثانية عشرة
كانون الثاني (يناير) ١٩٧٨

كلمة الناشر في الطبعة المجددة

هذه هي الطبعة السادسة من « الجداول » ، نقدمها إلى القراء بعد أن نفدت الطبعة الخامسة في مدة وجيزة .

ويهمنا أن ننبه ههنا على أمر . وهو أن صاحب الديوان ، رحمه الله ، كان قد نشر بعض القصائد في « الجداول » ثم أعاد نشرها منقحة في « الخمائل » ، وقد رأينا — ونحن بصدد طبعة جديدة ، أن نتلافى مثل هذا التكرار ، فأيما قصيدة كانت في « الجداول » من قبل ولم يجدها القارئ فيه ، اليوم ، فهي قصيدة مكررة لا بد أن يجدها في « الخمائل » والعكس بالعكس .

وليس من ريب في أن نفاد الطبعة المجددة في مثل هذه المدة الوجيزة لدليل ساطع على ما لشعر أبي ماضي من منزلة عند قراء العربية وعلى ثقتهم الغالية بالناشر .

دار العلم للملايين



الجداول



الفاتحة

يا رفيقي ... أنا لولا أنت ما وقّعت لحنا
كنتَ في سرّيَ لمّا كنتُ وحدي أتغنى
ألبسَ الروض حلاهُ أنه يومـــاً سيجنى
هذه أصداء روحي ، فلتكن روحك أذنا
ان تجد حسناً فخذه واطّرح ما ليس حُسنا
ان بعض القول فنٌّ فاجعل الاصغـاء فنـا

تلكُ كالحقل يردّ الكيل للزارع طنّـا

رُبّ غيمٍ صـار لمـا لمستهُ الريـح مزنا

ربمـا كنتُ غنياً غير اني بك أغـنى

ما لصوت أُغلقت من دونه الاسماع معنى

كل نور غير نور مرّ بالأعين وسنى

يا رفيقي . أنت إن راعيت فجري صار اسنى

وإذا طفتَ بكرمي زدتهُ خصباً وأمنا

قد سكبتُ الخمر كي تشرب ، فاشرب مطمئنا

واسقِ من شئت كريماً لا تخفْ ان تتجنى

كلما افرغتَ كأسي زدت في كأسي دنّا

فهي بالانفاق تبقى وهي بالإمسـاك تفنى

★

لست مني ان حسبت الشعر ألفاظاً ووزنا
خالفتْ دربك دربي وانقضى ما كان منا
فانطلق عني لئلا تقتني همّاً وحزنا
واتخذ غيري رفيقاً وسوى دنياي مغنى

العَنْقاء

أنا لستُ بالحسناء أولَ مولعٍ
هي مطمع الدنيا كما هي مطمعي

فاقصصْ عليّ إذا عرفت حديثها
واسكن إذا حدّثت عنها واخشعِ

ألمحتها في صورةٍ ؟ أشهدتَها
في حالةٍ ؟ أرأيتها في موضعٍ ؟

إني لذو نفس تهيمُ وإنها بجميلةٌ فوق الجمال الأبدعِ
ويزيد في شوقي اليها انهــا كالصوت لم يُسْفِرْولم يتقنع
فتّشت جيبَ الفجر عنها والدجى
ومــددتُ حتّى للكواكب اصبعي
فإذا هما متحيران كلاهمـا في عاشقٍ متحيرٍ متضعضع
وإذا النجوم لعِلْمها أوجهلها مترجزجات في الفضاء الأوسع
رقصت أشعّتها على سطح الدجى
وعلى رجــاء فيّ غير مشعشعِ

★

والبحرُ.. كم ساءلته فتضاحكت أمواجهُ من صوتيَ المتقطّعِ
فرجعت مرتعشَ الخواطر والمنى
كحمامةٍ محمولةٍ في زعـزعِ

وكأن أشباح الدهور تـألّبـت
في الشطّ تضحك كلها من مرجعي

★

ولكَم دخلتُ إلى القصور مفتشاً
عنها ، وعجتُ بدارساتِ الأربُعِ
ان لاح طيفٌ قلت : يا عين انظري
أو رنّ صوت قلت : يا أذن اسمعي
فإذا الذي في القصر مثلي حائرٌ
وإذا الذي في القصر مثلي لا يعي

★

قالوا : تورَّع ، انها محجوبةٌ الاّ عن المتزهّد المتورعِ

فوأدت أفراحي وطلّقت المنى
ونسختُ آياتِ الهوى من أضلعي

وحطمتُ أقداحي ولما ارتوِ وعففتُ عن زادي ولما أشبعِ

وحسبتني أدنو اليها مسرعاً فوجدتُ اني قد دنوت لمصرعي

ما كان أجهلَ نُصّحي وأضلّني لمّا أطعتهمُ ولم أتمنّعِ

اني صرفتُ عن الطاعة والهوى قلبي ، ولا ظفرٌ لمن لم يطمعِ

فكأنني البستان جرّد نفسه من زهره المتنوّع المتضوّع

ليحس نور الشمس في ذرّاته ويقابل النسمات غير مقنّعِ

فمشى عليه من الخريف سرادق
كالليل خيّمَ في المكان البلقع

وكأنني العصفورُ عرّى جسمهُ من ريشه المتناسق المتلمّع

ليخفّ محمله ، فخرّ إلى الثرى وسطا عليه النملُ غير مروّع

★

وهجمت احسب انها بنت الرؤى

فصحوتُ اسخرُ بالنيام المجّـع

ليست حبوراً كلها دنيا الكرى كم مؤلمٍ فيها بجانب مفـزع

تخفي أمانيّ الفتى كهمومـه عنه،وتحجبُ ذاته في برقـع

ولربما التبست حوادث يومه بالغابر المـاضي وبالمتوقّـع

يا حبذا شطط الخيال وانما تُمحى مشاهدهُ كأن لم تطبع

لما حملتُ بها حلمتُ بزهـرة لا تُجتنى ، وبنجمةٍ لم تطلع

ثم انتبهتُ فلم أجد في مخدعي إلا ضلالي والفراش ومخدعي

من كان يشرب من جداول وهمه

قطع الحياة بغلّـةٍ لم تنقـع



ذهب الربيع فلم تكن في الجدول الشادي ،ولا الروض الأغنّ الممرع

وأتى الشتاء فلم تكن في غيمه الباكي، ولا في رعده المتفجع

ولمحتُ وامضةَ البروق فخلتُها

فيها فلم تكُ في البروق اللمّعِ

صفِرت يدي منها وبي طيش الفتى

وأضلّني عنها ذكـاء الألمعـي

حتّى إذا نشرَ القنوطُ ضبابـهُ فوقي فغيّبني وغيّب موضعي

وتقطّعت أمراس آمالي بهـا وهي التي من قبل لم تتقطّع

عصر الأسى روحي فسالت أدمعاً فلمحتها ولمستها في أدمعي

وعلمتُ حين العلم لا يجدي الفتى

أنّ التي ضيّعتها كانت معي !

السجينة

لعمرك مــا حزني لمالٍ فقدتــهُ

ولا خان عهدي في الحياة حبيبُ

ولكنني أبكي وأندبُ زهرةً جناها ولوعٌ بالزهور لعوب

رآها يحلّ الفجر عقد جفونها ويُلقي عليها تبره فيذوبُ

وينفض عن أعطافها النور لؤلؤاً

من الطلّ ما ضُمت عليه جيوبُ

فعالجها حتى استوتْ في يمينه وعاد إلى مغناه وهو طروبُ

وشاء فأمستْ في الأناء سجينةً لتشبع منها أعينٌ وقلـوبُ

ثوت بين جدران كقلب مضيمها

تلمّسُ فيها منفـذاً فتخيبُ

فليست تحيّي الشمس عند شروقهـا

وليست تحيي الشمس حين تغيبُ

ومن عُصبت عيناه فالوقت كله

لديه وإن لاح الصبـاح غروبُ

★

لها الحجرة الحسناء في القصر انما

أحبّ اليهـا روضـةٌ وكثيبُ

وأجمل من نور المصابيح عندها

حباحبُ تمضي في الدجى وتؤوبُ

ومن فتيات القصر يرقصن حولها

على نغماتٍ كلهن عجيبُ

تراقصُ أغصانالحديقة بكرةً وللريح فيها جيئةٌ وذهوبُ

وأجمل منهن الفراشات في الضحى

لها كالأماني سكنةٌ ووثوبُ

وأبهى من الديباج والخزّ عندها

فراش من العشب الخضيل رطيبُ

وأحلى من السقف المزخرف بالدّمى

فضاءٌ تشعّ الشُّهب فيه رحيبُ

تحنّ إلى مرأى الغدير وصوته وتحرم منه ، والغدير قريبُ

وليس لها للبؤس في نسم الربى
نصيب ولم يسكن لهن هبوبُ

إذا سُقيتْ زادت ذبولاً كأنما يرش عليها في المياه لهيبُ

وكانت قليلُ الطلّ ينعش روحها
وكانت بميسور الشعاع تطيبُ

بها من أنوف الناشقين توعكٌ ومن نظرات الفاسقين ندوبُ

تمشّى الضنى فيها وأيار في الحمى
وجفّت وسربال الربيع قشيبُ

ففيها كمقطوع الوريدين صفرةٌ
وفيها كمصباح البخيل شحوبُ

★

أيا زهرة الوادي الكئيبة انني حزينٌ لما صرتِ اليه كئيبُ

وأكثر خوفي ان تظني بني الورى
سواءٌ وهم مثل النبات ضروبُ
وأعظم حزني انّ خطبك بعده مصائب شتّى لم تقع وخطوبُ
سيطرحك الانسان خارج داره إذا لم يكن فيكِ العشيةَ طيبُ
فتمسين للاقذار فيك ملاعبُ وفي صفحتيك للنعالِ ضروبُ
إسارِكِ يا أخت الرياحين مفجع
وموتكِ ، يا بنت الربيع ، رهيبُ
ولكنها الدنيا ، ولكنه القضا وهذا لعمري مثل تلك غريبُ
فكم شقيَت في ذي الحياة فضائلٌ
وكم نعمتْ في ذي الحياة عيوبُ
وكم شيَمٍ حسناء عاشت كأنها مساوئُ يُخشى شرها وذنوبُ

الضفادعُ وَالنجوم

صاحتِ الضّفدعُ لما شاهدت حولها في الماء أظلال النجومْ
يا رفاقي ! يا جنودي ! احتشدوا عبر الاعداء في الليل التخومْ
فاطردوهم واطردوا الليل معاً انه مثلهمُ باغٍ أثيمْ
زعقةٌ سار صداها في الدجى فاذا الشطّ شخوصٌ وجسوم
في أديم الماء من أصواتها رعدة الحمّى ، وفي الليل وجوم

★

مزّق الفجرُ جلابيب الدّجى ومحا من صفحةِ الأرض الرسوم

فمشت في سربها مختالةً كمليكٍ ظافر بين قروم

ثم قالت : لكمُ البشرى ولي قد نجونا الآن من كيدٍ عظيم

نحن لو لم نقهر الشهب التي هاجمتنا لأذاقتنا الحتوم

وأقامت بعدنا من أرضنا في نعيم لم تجده في الغيوم !

أيها التاريخُ سجّلْ اننا أمةٌ قد غلبت حتى النجوم !

السّماء

لا تسلني عن السماء فما عنديَ إلا النعوتُ والاسماء

هي شيءٌ ، وبعض شيءٍ ، وحيناً

كل شيءٍ ، وعند قوم هبـاءُ



فسماء الراعي كما يتمناهـــا مروجٌ فسيحةٌ خضراءُ

تلبس التّبر مئزراً ووشاحــاً كلما اشرقت وغابت ذُكاءُ

أبداً في نضارةٍ ، لا يجفّ العشبُ فيها ، ولا يغيضُ الماءُ

★

وهي عند الأم التي اخترمَ الموتُ بنيها ، وضلّ عنها العزاء
موضعٌ لا ينالهم فيهِ ضيمٌ لا ولا يدرك الشبابَ الفناء
وكذا يُولد الرجاء من اليأس إذا ماتَ في القلوب الرجاء

★

وهي عند الفقيرِ أرضٌ وراءَ الافقِ ، فيها ما يشتهي الفقراء
لا يخاف المثري ، ولا كلبَهُ الضاري ، ولا لامرئٌ به استهزاء
وهي عند المظلوم أرضٌ كهذي الأرض لكن قدشاع فيها الرخاء
يجمع العدلُ أهلها في نظام مثلما يجمع الخيوط الرداء
لا ضعيفٌ مستعبَدٌ ، لا قويٌّ
مستبِدٌ ، بل كلهم اكفاءُ

كل شيءٍ للكلّ ملكٌ حــلالٌ
كل شيء فيها كما الكل شاءوا

★

وهي عند الخليج أرضٌ تميسُ الحور فيها ، وتدفق الصهباءُ
كل ما النفس تشتهيه مبــاحٌ
لا صدودٌ ، لا جفوة ، لا إباء
أكبر الاثم قولة المرء هذا الأمرُ إثم ، وهذه فحشــاء
ليس بين الصلاح والشر حدٌ كالذي شاء وضعهُ الانبيــاء
وإذا لم يكن عفافٌ وفســقٌ لم تكن حشمةٌ ولا استحياء

★

كل قلب له السماء الذي يهوى ، وان شئتَ كل قلبٍ سماء

صورٌ في نفوسنا كائناتٌ ترتديها الافعال والاشياء
رُبَّ شيءٍ كالجوهر الفرد فذٍّ عدّدته الاغراض والاهواء
كلّ ما تقصر المدارك عنهُ كائنٌ مثلما الظنون تشـــاء

بَرَدي يا سُحب

رضيتْ نفسي بقسمتهـا فليراود غيريَ الشّهبـا

كلّ نجم لا اهتداء بهِ لا أبالي لاح أو غرّبـا

كلّ نهرٍ لا ارتواء بهِ لا أبالي سال أو نضبا

ما غـدٌ يا من يصـوّرهُ ليَ شيئاً رائعـاً عجبـا

ما لهُ عـينٌ ولا أثـرٌ هو كالأمس الذي ذهبـا

اسقني الصهباء ان حضرَت ثمّ صف لي الكأس والحببا

ليس يرويني مقالكَ لي إنها العقيان منسكبا
ان صدقاً لا احسُّ بهِ هو شيءٌ يشبهُ الكذبا
لا ينجّي الشاة من سغَب انّ في أرضِ السّهى عشبا
ما على من لا يطيق يرى نوّرَ الوادي أو اكتأبا
ما يفيد الطير في قفصٍ ضاق هذا الجو أو رحبا

★

بردّي يا سحبُ من ظمأي واهطلي من بعد ذا ذهبا
أو فكوني غير راحمةٍ حمماً حمراء لا سحبا
ولأكن وحدي لها هدفاً ولتكن نفسي لها حطبا
أنا من قوم إذا حزنوا وجدوا في حزنهم طربا
وإذا ما غايةٌ صعبت هوّنوا بالترك ما صعبا

العيرُ المُتَنكر

زعم المؤدّب ان عيراً ساءهُ ان لا يُسار بـه إلى الميـدانِ
فمضى فقصّرت القواطع ذيلهُ وسطت مواضيها على الآذانِ
حتّى إذا جاء المروّض واعتلى متنيه راب الفارسَ الكشحانِ
لكنهُ ما زال غير مصدّق حتّى علا صوتٌ كصوت الجانِ
فاستل صارمه فطاح براسـه ورمى بجثته إلى الغربـانِ
ما دام يصحب كلّ حيّ صوتهُ
هيهات يخفي العيرَ جلدُ حصانِ

تعَـالَيْ

تعـالي نتعاطاها كلونِ التبر أو أسـطعْ
ونسقي النرجس الوَاشي بقايا الراح في الكاسِ
فلا يعرف من نحنُ ولا يبصر مـا نصنع
ولا ينقل عند الصبح نجوانا إلى النـاسِ

★

تعالي نسرق اللذّات مـا ساعفنا الدهرُ

وما دمنا وما دامت لنـا في العيش آمـال

فان مر بنـا الفجر ومـا أيقظنـا الفجرُ

فما يوقظنـا علمٌ ولا يوقظنـا مـال

★

تعالي نطلق الروحين من سـجن التقـاليدِ

فهذي زهرة الوادي تذيع العطر في الوادي

وهـذا الطير تيّـاهٌ فخـورٌ بالأغـاريدِ

فمن ذا عنّف الزهرة أو من وبّـخ الشادي ؟

★

أراد الله أن نعشق لمّـا أوجـدَ الحسنا

وألقى الحبّ في قلبكِ إذ ألقاه في قلبـي

مشيئته .. ومـا كانت مشيئته بلا معنى

فان أحببتِ ما ذنبكِ أو أحببتُ ما ذنبي ؟

★

دعي اللاحي وما صنّف والقـابلي وبهتانَه
أللجدول ان يجري وللزهرة أن تعبقْ ،
وللأطيار أن تشـتاق أيـاراً وألوانـه ،
وما للقلب وهو القلب أن يهوى وأن يعشق ؟

★

تعالي ان رب الحب يدعونا إلى الغـابِ
لكي يمزجنـا كالماءِ والخمرة في كـاسِ
ويغدو النور جلبابكِ في الغـاب وجلبابي
فكم نصغي إلى الناس ونعصي خالق الناسِ

★

يريد الحب أن نضحك فلنضحكْ مع الفجر
وأن نركض فلنركض مع الجدول والنهر
وأن نهتف فلنهتف مع البلبل والقمري
فمن يعلمُ بعد اليوم ما يحدث أو يجري ؟

★

تعالي قبلما تسكت في الروض الشحاريرُ
ويذوي الحور والصفصاف والنرجس والآس
تعالي قبلما تطمر أحلامي الأعاصير
فنستيقظ لا فجرٌ ، ولا خمرٌ ، ولا كاس

ريحُ الشمال

سألتُ وقد مرّت الشمألُ تنوحُ وآونـةً تُعـولُ
إلى أيما غايةٍ تركضيـنَ ألا مستقَرٌّ ؟ ألا موئلُ ؟
وكم تعولِين وكم تصرخين كعصفورةٍ راعها الأجدل
لقد طرح الغصن أوراقـهُ من الذعر واضطرب الجدول
وضلّ الطريق إلى عشّـه فهـام على وجهـه البلبـل
وغطى السُّهى وجهه بالغمام كما ينزوي الخائف الأعزل

وكادت تخرُّ لديكِ الهضـاب وتركض قدامكِ الأجبـل

★

أبنْتَ الفضاء أضاق الفضاءُ فأنتِ إلى غـيره اميـــلُ

أغاظك ان الدجى لا يزول وان الكواكب لا تأفــلُ

أتبكين آمالكِ الضائعــات هل الريح مثل الورى تأملُ

أيعدو وراءكِ جيشٌ كثيف امثلكِ يرهبـه الجحفـــلُ

وما فيكِ عضوٌ ولا مفصـل فتقطع اوصالكِ الانصُـلُ

فجاوبني هاتف في الظـلام: غلطتَ فما هذه الشـمألُ

ولكنها أنفُس الغـابرينَ تجوس الديار ولا تنـزلُ

فقلتُ : أينهض من في القبور وفوقهمُ التُّرْب والجنـدلُ

أجاب الصدى ضاحكاً ساخراً إلى كم تحار وكم تسألُ ؟

وترفع عينيك نحو السماء وليست تبـالي ولا تحفـلُ.

من البحر تصعد هذي الغيوثُ
وتهطل في البحر إذ تهطلُ
وفي الجو ان خفيت نسمةٌ وفي الأرض ان نضب المنهلُ

★

لقد كان في امس ما قبله وفي غده يومكَ المقبل
عجبتُ لباكٍ على أول وفي الآخر النائح الأولُ

★

همُ في الشراب الذي نحتسي وهُمْ في الطعام الذي نأكلُ
وهم في الهواء الذي حولنا وفي ما نقول وما نفعلُ
فمن حسِب العيش دنيا وأخرى
فذا رجلٌ عقله أحولُ

الحجر الصغير

سمعَ الليلُ ذو النجوم أنينـاً وهو يغشى المدينة البيضاءَ
فانحنى فوقهـا كمسترق الهمـ ـس يطيل السكوت والاصغاء
فرأى أهلها نياماً كأهل الـ ـكهف لا جلبةً ولا ضوضاء
ورأى السدّ خلفها محكم البنـ ـيان والماءُ يشبه الصحراء
كان ذاك الأنين من حجر في الســ
ـدِّ يشكو المقادرَ العمياءَ

أيّ شأن يقول في الكون شأني
لست شيئاً فيه ولست هباءَ

لا رخامٌ انا فأنحت تمثا لاً ولا صخرة تكون بناء
لست أرضاً فأرشف الماء أو ماءً فأروي الحدائق الغنّاء
لست دراً تنافس الغادة الحسناء فيه المليحة الحسناء
لا أنا دمعةٌ ولا أنا عينٌ لست خالاً أو وجنةً حمراء
حجر اغبرٌ انا وحقيرٌ لا جمالاً لا حكمة لا مضاء

فلأغادر هذا الوجود وأمضي
بسلام ، إني كرهت البقاء

وهوى من مكانه ، وهو يشكو
الارض والشهب والدجى والسماء

فتح الفجرُ جفنه ... فاذا الطوفان يغشى « المدينة البيضاء »

الطّين

نسيَ الطينُ ساعةً انه طينٌ حقيرٌ فصال تيهاً وعربدْ

وكسى الخزّ جسمه فتباهى ، وحوى المالَ كيسهُ فتمرّدْ

يا أخي لا تملْ بوجهك عني ، ما أنا فحمةٌ ولا أنت فرقد

أنت لم تصنع الحرير الذي تلبسُ واللؤلؤَ الذي تتقلّد

أنت لا تأكل النّضار إذا جعتَ ولا تشرب الجمان المنضّد

أنت في البردة الموشّاة مثلي في كسائي الرديم تشقى وتسعد

لك في عـالم النهار أمانٍ ، وروى والظلام فوقك ممتـد
ولقلبي كما لقلبك احـلا مٌ حِسان فانه غير جلمد

★

أأمانيّ كلها من تـراب وأمانيك كلها من عسجد ؟
وأمانيّ كلهـا للتـلاشي وأمانيك للخلود المؤكّد ! ؟
لا . فهذي وتلك تأتي وتمضي كذويها . وأي شيء يؤبّد ؟
أيها المزدهي . إذا مسّك السقمُ الا تشتكي ؟ ألا تتنهد؟
وإذا راعكَ الحبيب بهجرٍ ودَعتك الذكرى ألا تتوجّد؟
أنت مثلي يبشّ وجهك للنعمى وفي حالة المصيبة يكمـدْ
أدموعي خلٌّ ودمعك شهد؟ وبكائي ذُلّ ونوحك سؤدَد؟
وابتسامي السراب لا ريّ فيه؟ وابتساماتك اللآلي الخرّد ؟
فلَكٌ واحد يُظلّ كِلينا حار طرْفي به وطرفك ارمد

قدر واحد يُطلّ علينـــا وعلى الكوخ والبناءِ الموطّــد
إن يكن مشرقاً اعينيكَ انسي لا أراه من كوّة الكوخ اسود
النجوم التي تراهــا أراهــا حين تخفى وعندما تتوقــد
لستَ أدنى على غناك اليها وأنا مع خصاصتي لستأبعد

★

أنت مثلي من الثرى وإليـه فلماذا يا صاحبي التيهُ والصد!
كنتَ طفلاً إذ كنتُ طفلاً وتغدو
حين أغدو شيخاً كبيراً أدْرَد
لستُ أدري من أين جئتُ ولا مـا
كنتُ ، أو ما أكون يا صاحِ في غد
أفتدري ؟ اذن فخبّــر وإلا فلماذا تظن أنك أوحـد ؟

★

ألكَ القصرُ دونه الحرس الشا كي ومن حوله الجدار المشيّد

فامنع الليل ان يمدّ رواقاً فوقه ، والضبابَ ان يتلبّد

وانظر النور كيف يدخل لا يطلب إذناً فما له ليس يطردِ؟

مرقد واحد نصيبك منه افتدري كم فيك َللذرّ مرقد؟

ذُدتني عنه والعواصف تعدو في طِلابي والجو أقتم اربد

بينما الكلب واجدٌ فيه مأوى وطعاماً والهر كالكلب يُرقد

فسمعت الحياة تضحك مني اترجّى ، ومنك تأبى وتجحد

★

ألك الروضة الجميلة فيها الماء والطير والازاهر والندّ؟

فازجرِ الريحَ ان تهز وتلوي شجر الروض — انه يتأوّد

والجم الماء في الغدير ومرُّهُ لا يصفّق الا وانت بمشهد

إن طير الأراك ليس يبالي انت اصغيتَ أم انا إن غرّد

والازاهير ليس تسخر من فقري ولا فيك للغنى تتودّد

★

ألكَ النهر ؟ انه للنسيم الرطيب دربٌ وللعصافير مورد
وهو للشهب تستحمّ به في الصيف ليلاً كأنها تتبرّد
تدّعيه فهل بأمرك يجــري في عروق الاشجار أو يتجعّد !
كان من قبل ان تجيء ، وتمضي
وهو باقٍ في الارض للجزر والمد

★

ألك الحقل ؟ هذه النحل تجني الشهد من زهره ولا تتردد
وأرى للنمال ملكــاً كبــيراً قد بنَته بالكدح فيه وبالكــد
أنتَ في شرعها دخيل على الحقل ولص جنى عليها فأفسد

لو ملكتَ الحقول في الأرض طراً
لم تكن من فراشة الحقل أسعد
أجميل ؟ ما أنت أبهى من الور
دةِ ذات الشذى ولا أنت اجوَد
ام عزيز وللبعوضة من خدّيك قوتٌ وفي يديك المهند
ام غني ؟ هيهات تختال لولا دودة القزِ بالحباء المبجّد
ام قوي ؟ اذن مرِ النوم إذ يغشاكَ والايل عن جفونك يرتد
وامنعِ الشيب انْ يلمَّ بفوديك ومُرْ تلبث النضارة في الخد
اعليم ؟ فما الخيال الذي يطرق ليلاً ؟ في أي دنيا يولد ؟
ما الحياة التي تبين وتخفى ؟ ماالزمان الذي يذَمّ ويحمد ؟
أيها الطين لست انقى واسمى من ترابٍ تدوس أو تتوسد
سدتَ أو لم تسد فما أنت إلا حيوانٌ مُسيَّر مستعبد

ان قصراً سمكتَه سوف يندكّ وثوباً حبكته سوف ينقــد

لا يكن للخصام قلبك مأوى ان قلبي للحب أصبح معبد

انا أولى بالحب منك وأحرى من كساء يبلى ومال ينفد

التينة الحمقاء

وتينةٍ غضةِ الأفنان باسقةٍ قالت لأترابها والصيف يُحتضَر:

« بئس القضاء الذي في الأرض أوجدني

عندي الجمال وغيري عنده النظرُ »

« لأحبسنّ على نفسي عوارفها فلا يبين لها في غيرها اثر »

« كم ذا اكلّف نفسي فوق طاقتها

وليس لي بل لغيري الفيْءُ والثمر »

« لذي الجناح وذي الاظفار بي وطرٌ
وليس في العيش لي فيما أرى وطر »

« اني مفصّلةٌ ظلي على جسدي فلا يكون به طول ولا قصر »

« ولست مثمرةً الا على ثقة أن ليس يطرقني طيرٌ ولا بشر »

★

عاد الربيع إلى الدنيا بموكبه
فازّينت واكتست بالسندس الشجر

وظلت التينة الحمقاء عاريةً كأنها وتد في الأرض أوحجر

ولم يُطِق صاحب البستان رؤيتها فاجتثّها فهوت في النار تستعر

من ليس يسخو بما تسخو الحياة به
فإنه أحمق بالحرص ينتحر

في القفر

سئمتْ نفسيَ الحياة مع الناس ،

ومَلّت حتى من الأحبابِ

وتمشت فيها الملالة حتى ضجرت من طعامهم والشراب

ومن الكذْب لابساً بُردة الصدقْ،

وهذا مسربلاً بالكِذاب

ومن القبح في نقابٍ جميل ومن الحسن تحت ألف نقاب

ومن العابدين كلَّ إلهٍ ومن الكافرين بالأرباب
ومن الواقفين كالأنصاب ومن الساجدينَ للانصاب
ومن الراكبين خيل المعالي ومن الراكبين خيل التصابي
والألى يصمتون صمت الأفاعي والألى يهزجون هزج الذباب
صغُرت حكمة الشيوخ لديها واستخفّت بكل ما للشباب
قالت اخرجْ من المدينة للقفر ففيه النجاة من أوصابي
ولَيلَكُ الليل راهبي ، وشموعي
الشهب ، والأرض كلها محرابي
وكتابي الفضاء اقرأ فيه سُوَراً ما قرأتها في كتاب
وصلاتي الذي تقول السواقي وغنائي صوت الصَّبا في الغاب
وكؤوسي الأوراق القت عليها
الشمس ذوب النضار عند الغياب

ورحيقي ما سال من مقلة الفجر على العشب كاللّجيّن المذاب
ولتكحّل يد المساء جفوني ولتعانق أحلامه أهدابي
وليقبّل فم الصباح جبيني وليعطر أريجه جلبابي
ولأكنْ كالغراب رزقي في الحقـ
ـل وفي السفح مجثمي واضطرابي
ساعة في الخلاء خيرٌ من الأ
عوام تقضى في القصر والأحقاب

★

يا لَنَفسي فانها فتنتني بالحديث المنمّق الخلاب
فاذا بي اقلي القصور وسكنا ها وأهل القصور ذات القباب
فهجرت العمران تنفض كفّي عن ردائي غباره واهابي
وتركت الحمى وسرت واياها وقد ذهّب الاصيل الروابي

نهتدي بالضحى فان عسعس اللّيـ
ـل جعلنا الدليـل ضوء الشـهاب
وقضينا في الغـاب وقتـاً جميـلاً
في جوار الغـدران والاعشابِ
تارة في ملاءة من شـعاعٍ تارةً في ملاءةٍ من ضباب
تارة كالنسيم نمـرح في الوا
دي ، وطوراً كالجدول المنساب
في سفوح الهضـاب والظلّ فيهـا
ومع النور وهو فوق الهضابِ
إنما نفسيَ التي ملّت العمران ملت في الغاب صَمْتَ الغابِ
فانا فيـه مستقلٌ طليـق وكأني أدبٌ في سـردابِ

★

علمتني الحياة في القفر أنـــي ـــأينما كنت ـــساكنٌ في الترابِ
وسأبقى ما دمت في قفص الصلصال عبدَ المنى أسير الرّغابِ
خلت اني في القفر أصبحت وحدي
فإذا النـــاس كلّهم في ثيــابي !

التمثال

من المرمر المسنون صاغوا مثاله
وطافوا به من كل ناحية زُمَرْ

وقالوا – صنعناه لتخليد رسمه
فقلت – الا يفنى كما في الأثرْ

وقالوا – نصبناه اعترافاً بفضله
فقلت اذنْ من يعرف الفضل للحجر

وقالوا غنيٌّ كان يسخو بمــاله
فقلت لهم هل كان أسخى من المطر

وقالوا قويٌّ عــاش يحمي ذمــارنا
فقلت لهم هل كان أقوى من القدَر

أكان غنيــاً أم قويــاً فــانـــه
بمالِكمُ استغنى وقوّتكم ظفِر

فلم يتعشّقْكم ولا همتمُ بـــه
كما خلتمُ لكنه النفع والضرر

ولم ترفعوا التمثال للبأس والندى
ولكن لضعفٍ في نفوسكم استتر

فلستم تحبون الغنيَّ إذا افتقــر
ولستم تحبون القويَّ إذا اندحر

رأيتكمُ لا تعرجـون بروضــة
إذا لم يكن في الروض فيءٌ ولا ثمر

ولا تعلفون الشاة إلا لتَسمنوا
ولا تقتنون الخيــل إلا على سفر

إذا كان حب الفضل للفضل شأنكم
ولم تخطئوا في الحسّ والسمع والبصر

فما بالكم لم تكرموا الليل والضحى
ولم تنصبوا التمثال للشمس والقمر !

المَسار

السحب تركضُ في الفضاء الرحب ركض الخائفينْ
والشمس تبدو خلفهـا صفراء عاصبـة الجبـين
والبحر ساجٍ صامتٌ فيه خشوع الزاهـدين
لكنّما عينـاكِ باهتتـان في الأفـق البعيـدْ
سلمى ... بماذا تفكرين ؟
سلمى ... بماذا تحلُمينْ ؟

★

أرأيتِ أحلام الطفولة تختفـي خلف التخومْ ؟
أم أبصرتْ عيناك أشباح الكهولة في الغيومْ ؟
أم خفتِ أن يأتي الدجى الجاني ولا تأتي النجومْ ؟
أنا لا أرى ما تلمحين من المشاهد إنما

أظلالها في ناظريكِ
تنمّ يا سلمى عليكِ

★

إني أراك كسائح في القفر ضلّ عن الطريقْ
يرجو صديقاً في الفلاة ، وأين في القفر الصديق!
يهوى البروق وضوءها ويخاف تخدعه البروقْ
بل أنتِ أعظم حيرةً من فارس تحت القتامْ

لا يستطيع الانتصارْ
ولا يطيق الانكسار

★

هذي الهواجس لم تكن مرسومة في مقلتيكِ
فلقد رأيتكِ في الضحى ورأيتُه في وجنتيك
لكن وجدتك في المساء وضَعتِ رأسك في يديك
وجلستِ في عينيك ألغازٌ وفي النفس اكتئابْ
مثل اكتئاب العاشقين
سلمى ... بماذا تفكرين ؟



بالأرض كيف هوَتْ عروش النور عن هضباتها ؟
أم بالمروج الخضر ساد الصمت في جنباتها ؟

أم بالعصافير التي تعدو إلى وكُناتها ؟
أم بالمسا ؟ إن المسا يخفي المدائن كالقرى
والكوخَ كالقصر المكينْ
والشوك مثل الياسمين

★

لا فرق عند الليل بين النهر والمستنقعِ
يخفي ابتسامات الطّروب كأدمع المتوجّع
إن الجمال يغيب مثل القبح تحت البرقع
لكن لماذا تجزعين على النهار وللدجى
أحلامُه ورغائبهْ
وسماؤه وكواكبهْ

★

إنْ كان قد ستَرَ البلاد سهولها ووعورها
لم يسلب الزهرَ الأريجَ ولا المياه خريرها
كلا ولا منع النسائم في الفضاء مسيرها
ما زال في الورَق الحفيفُ وفي الصَّبا أنفاسها

والعندليب صداحه
لا ظفْره وجناحه

★

فاصغي إلى صوت الجداول جارياتٍ في السفوحْ
واستنشقي الأزهار في الجنّات ما دامت تفوحْ
وتمتعي بالشهب في الأفلاك ما دامت تلوحْ
من قبل أن يأتي زمان كالضباب أو الدخانْ

لا تبصرين بـه الغدير

ولا يلذّ لكِ الحرير

★

لتكنْ حيـاتكِ كلهـا أملاً جميـلاً طيّبـا

ولتملأ الاحـلام نفسكِ في الكهولة والصبى

مثل الكواكب في السماء وكالأزاهر في الربـى

ليكن بأمر الحب قلبـكِ عالمَـاً في ذاتـهِ

أزهـاره لا تذبـلُ

ونجومـه لا تأفـلُ

★

مات النهارُ ابن الصباح فلا تقولي كيف مـاتْ

إن التـأمل في الحيـاة يزيد أوجـاعَ الحياة

فدعي الكـآبة والأسى واسـترجعي مرح الفتاة

قـد كان وجهكِ في الضحى مثل الضحى متهللا

فيه البشـاشة والبهاءْ

ليكن كذلك في المساءْ

الكنيسة المحطمة

شاهدتها كالميْت في أكفانـهِ فوجمتُ إلا عبرةً أذريهـا
مهجورةً كسفينةٍ منبوذةٍ في الشط غاب وراءه ماضيها
نسجت عليها العنكبوت خيوطها
وكسا الغبـار غـلالة تكسوهـا
أقوَت وباتت كالمسامع بعدها لا شيء يطربها ولا يشجيهـا
وكأنها في صمتها مشدوهةٌ ان لا ترى بهتافها مشدوهـا

لا حسّ في أوتارها لا شوق في اضلاعها، لا حسن في باقيها
فارزحْ بحزنك يا حزين فانها لا تنشر الشكوى ولا تطويها
وإذا انقضى عهد التعلّل بالمنى فالنفس يشقيها الذي يُرديها

★

لله عهدٌ مرّ لي في ظلها أبكي عليه وتارة أبكيها
كانت كأن ضلوعها موصولةٌ بأضالعي وسرائري في فيها
كم مرةٍ حامت غرابيب الاسى لتقيت من قلبي الجريحِ بنيها
فإذا الاغاريد اللطيفة دونها سور يصون حشاشتي ويقيها
كم هزّني الشدو الرخيم فساقطت
نفسي هموماً أوشكت تبليها
فاذا أنا مثل البنفسجة التي ذبلت فباكرها الندى يحييها
ولكم سمعت خفوق أجنحة المنى وحفيفها في نغمةٍ توحيها

فسكرتُ حتى ما أعي سُكْرَ امرئٍ
بالخمر اترعَ كأسه ساقيها

ورأيتني في جنةٍ سحريةٍ لا يرتوي من حسنها رائيها
ولمحت أحلام الشباب مواكباً تترى أمامي والهوى حاديها
سرّ السعادة في الرؤى أنّ الرؤى لا كفّ تثبتها ولا تمحوها
ولكم سمعت دبيب أشباح الأسى عند المسا في انةٍ تزجيها
فذكرتُ ثَمّ محاسناً تحت الثرى غابت وشوّهها البلى تشويها
فاذا أنا كالسنديانة شوّشت أغصانها الريحُ التي تلويها
أو كالسفينة في الضباب طريقها ضلت وغابت أنجم تهديها
شهد الدجى والفجر اني جازعٌ
لسكوتها جزع الغدير اخيها

ما ان سمعت أنينه ونشيجه الا ويعرو النفس ما يعروها

روّى الثرى يا ليت روحي في الثرى
أو في النبات لعلّه يرويها

★

يا صاحبيّ وفي حنايا أضلعي همٌ يكظّ الروح بل يُدميها
إن التي نقلت حكايات الهوى لم يبقَ غير حكايةٍ ترويها
كمدينةٍ دكّ القضاء صروحها دكّاً وكفّن بالسكوت ذويها
نُعِيَتْ فريعَ الفجر وارتعش الدجى
ما كان أهونَها على ناعيها !
لا تعجبا في الغاب من نوْح الصَّبا
وعويلها ، إن الصبا ترثيها
لو تسمعان نجيّها متمشياً كالسحر في الأرواح يستهويها
لعلمتما انّ القضاء اغتالها كيلا تبوح بكل سرٍّ فيها

زَهرة أقحُوان

كان في صدريَ سرٌّ كامنٌ كالأفعوانِ
أتوقّاهُ وأخشى ان يراهُ من يراني
وإذا لاح أمامي عقّلَ الذعرُ لساني
فكأني عند بحرٍ هائج أو بُرُكـانِ
لم اخفهُ غير اني خفتُ أبنـاء الزمانِ
ولكَمْ فانٍ نظيري خاف قبلي بطش فانِ

★

لم يسعْ سري فؤادي لم تسع نفسي المغاني
فقصدتُ الغاب وحدي والدجى ملقى الجِران ِ
ودفنت السرّ فيه مثلما يُدفنُ جانِ
ورأى الليلُ قتيلي فبكاه وبكاني
انّ للّيل دموعاً لا تراها مقلتان ِ

★

كنتُ حتى مع ضميري امس في حرب ٍ عوان ِ
فانقضى عهد التجافي وأتى عهد التداني
خدرتْ روحي فأمسى شأنَ جُل ِّ الخلق شاني
لا أرى في الخمر معنىً ولكمَ فيها معان ِ
فكأني آلة العاصر أو إحدى الأواني
لم يعد قلبيَ كالبرق شديد الخفقان ِ

لم تعد نفسيَ كالنجمة ذات اللمعانِ
بتّ لا أبكي لمظلوم ولا حرٍّ مهانِ
لا ولا أحفلُ بالباكي ولو ذا صولجانِ
صرتُ كالصخر سواءٌ هادمٌ عندي وبانِ



يا لآمالي الغوالي ! يا لأحلامي الحسانِ
طوَت الغابةُ سري فانطوت معْه الأماني
ضاعَ لما ضاع شيءٌ من كياني بل كياني



في صباحٍ مستطير كصباح المهرجانِ
لبستْ فيه الروابي حلّةً من ارجوانِ

وتبدّى الغابُ من أوراقه في طيلسانِ
ساقني روحٌ خفيّ نحو ذيّاك المكانِ
فاذا بالسرّ أضحى زهرةً من اقحوانِ

الأسرار

يا ليتني لصٌّ لأسرق في الضحى

سرَّ اللطـافة في النسيم الساري

واجسَّ مؤتلق الجمال باصبعي في زرقةِ الافُق الجميل العاري

ويَبينَ لي كنه المهابة في الربى والسرَّ في جذَل الغدير الجاري

والسحرُ في الالوان والانغام وا

لأنـــداء والأشـــذاء والازهـارِ

وبشاشــة المرج الخصيب ووحشة الـ
وادي الكئيب وصولة التيّارِ
وإذا الدجى أرخى عليّ سدولهُ
أدركتُ مـا في الليل من أسرارِ
فلكَم نظرتُ إلى الجمال فخلتُه أدنى إلى بصري من الاشفار
فطلبته فاذا المغالق دونــه وإذا هنالك الفُ الف ستار
بادٍ ويُعجز خاطري ادراكه وافِتنتي بالظاهر المتواري !

العميان

كم خفضنا الجناح للجاهلينا

وعذرناهمُ فمـــا عذرونـــا

خبِّروهم يا أيهـــا العاقلونـــا

انمـــا نحن معشر الشـــعراء يتجلى سر النبوّة فينـــــا

★

ذكِّروهم فربّ خيرٍ كبيرِ

فعلتْــه الهداةُ بالتــذكير
انما الناسِ من ترابٍ ونور
فبنو النور يعبدون النــورا وبنو الطين يعبدون الطينــا

★

قيل عنا قصورنا من هبــاء
تتلاشى في ضحوة ومساء
أو سطورٌ بالمــاء فوق المــاء
لو سكنتم قصورنا بعض ساعه لنسيتم شهوركم والسنينــا

★

لو دخلتم هياكل الإلهــام
وسرحتم في عــالم الأحلام

واجتليتم سرّ الخيـال السامي

وعرفتم كـما عرفنـا الله لحررتم أمامنـا ساجدينـا

★

قد سقتنا الحياة كأساً دهاقا

حسنتْ نكهةً ، وطابت مذاقا

وسقيْنا ممـا شربنا الرفاقا

فتركناهمُ حيارى سكارى يتمنّون انهم لا يعونـــا

★

همـُكم في الكؤوس والأكوابِ

آهِ لو كان همكم في الشراب

لطرحتم عنكم قيود التراب

وشعرتم بلذّةٍ أو عـــذاب   هذه الخمر ليتكم تشربونـــا

★

اتقولونَ   انــــه   مجنونُ   !

اتقولونَ   انــــه   مفتــونُ   !

اتقولونَ   شاعرٌ   مسكينُ   !

كم مليكٍ كم قائدٍ كم وزيرٍ   ودّ لو كان شاعراً مســـكينا



عاش « ملتن » فلم يكن مذكورا

وهوميروس « كالشيـخ »كانضريرا

ولقد مات   « ابن بردٍ »   فقيرا

أرأيتم كما رأى العميانُ ؟ أفلستُم بنورهم تهتدونـا

الزمانُ

يمشي الزمانُ بمن ترقّب حاجة   متثاقلاً كالخائف المتردّدِ
حتّى ليحسبه أسيراً موثقاً   ويراه أبطأ من كسيحٍ مقعدِ
ويخال حاجتَه التي يصبو لها   في دارةِ الجوزاء أو في الفرقد
ويكون ما يرجوه زورةَ صاحبٍ
ويكونُ أبعد ما يرجّي في غَدِ

★

فاذا تولى النفسَ خوفٌ في الضحى

من واقبٍ تحتَ الدجى أو معتدِ

طارت بها خيل الزمان ونُوقُه نحو الزمان المدلهمِّ الاسودِ

فكأنهـا محمولةٌ في بـارقٍ أو عارضٍ أو عاصفٍ في فدفد

★

ويكون أقصرَ ما يكون إذا الفتى

مدّت له الدنيـا يـد المتوّددِ

فتوسطَ اللذّاتِ غيرَ منفّـرٍ وتوسد الاحلام غير منكّـدِ

فاذا لذيذ العيش نغبة طائـرٍ وإذا طويل الدهر خطرة مِرودِ

★

وإذا الفتى لبسَ الأسى ومشى به

فكأنمـا قـد قـال للزمنِ اقعدِ

فإذا الثواني أشهرٌ ، وإذا الدقا

ئقُ أعصرٌ ، والحزن شيءٌ سرمدي

وإذا صباح أخي الأسى أو ليله متجددٌ مع همه المتجددِ

قهر الورى وأذلّهم ان الورى متعللٌ أو طامعٌ أو مجتدِ

جعلوا رغائبهم قياس زمانهم والدهر أكبر ان يقاس بمقصد

وقتلتُ في نفسي الرغائب والمنى فقهرته بتجرّدي وتزهّدي

يشكو الذي يشكو السهادَ جفونَهُ

لو لم يكن ذا ناظرٍ لم يسهدِ

ان كان شيء للنّفاد أعدّهُ فيما انقضى ومضى وان لم ينفد

ما إن رأيت الكحل في حدق المهى الاّ لمحتُ الدود خلف الأثمد

من ليس يضحك والصباح مورّدٌ

لم يكتئب والصبح غير مورّدِ

سيّان أحلامٌ أراهـا في الكرى

عندي ، وأشياءٌ بها اشتملت يدي

أنا في الزمان كموجةٍ في زاخرٍ انا فيه ان يزبد وان لم يزبـدِ

مهما تلاطم فهو ليس بمغرقي أو مخرجي منه ولا بمبَدِّدي

هيهات مـا أرجو ولا أخشى غداً

هل ارتجي وأخاف ما لم يوجدِ

والأمس فيّ فكيف أحسبهُ انتهى

أفما رأيتُ الأصل في الفرع الندي

قبـلٌ كبعدٍ حـالةٌ وهميّـةٌ

أمسي أنا ، يومي أنا ، وأنا غدي

اليتيم

خبِّروني ماذا رأيتم ؟ أأطفالاً
يتامى أم موكباً علويا
كزهورِ الربيع عَرفاً زكيّا ونجوم الربيع نوراً سنيا
والفراشات وثبةً وسكونا والعصافير بل ألذّ نجيّا
انني كلما تأملتُ طفلاً خلت اني أرى ملاكاً سويّا
قل لمن يبصر الضباب كثيفاً إن تحت الضباب فجراً نقيا

اليتيم الـذي يلوح زريـــاً   ليس شيئاً لو تعلمون زريّا

انه غرســة ستطلع يومــاً   ثمراً طيباً وزهراً جنيـــا

ربما كان أودع الله فيـــه   فيلسوفاً ، أو شاعراً ، أو نبيا

لم يكن كل عبقريّ يتيمــاً   انما كان كاليتيم صبيـــا

ليس يدري لكنهُ سوف يـدري

ان ربّ الايتام ما زال حيّـــا

عندما يصبح الصغير فتيـــا   عندما يلبس الشباب حليـا

كل نجم يكون من قبل أن يبدو سديماً عن العيون خفيا

ان يكُ الموتُ قد مضى بأبيــه   ما مضى بالشعور فيك وفيـا

وشقاء يولّد الرفق فينـــا   لهو الخير بالشقـاء تزيّـا

لا تقولوا من أمه ؟ من أبوه؟   فـأبوه وأمّـــه سوريـــا

فأعينوهُ كي يعيش وينمـو   ناعم البال في الحياة رضيا.

ربّ ذهن مثل النهار منيرٍ صار بالبؤس كالظلام دجيا
كم أثيم في السجن لو أدركته رحمة الله كان حراً سريا
حاربوا البؤس في الصغار صغيراً
قبل أن يستبدّ فيهم قويا
كلهم ذلك الجريح الملقّى فلنكن كلنا الفتى «السامريا»

المَجنُون

أطار عني النوم صَوتٌ في الدجى
كـأنـه دمدمـة الشـلاّلِ
يصرخُ ، والريحُ تردّد الصدى
في أذُنِ الفضـاء والتـلالِ
يا ليـلُ قف هنيهةً قبـالي
ترَ البرايـا وأرَ الليـالي

أنا الشادي ، أنا الباكي ، انا العــاري انا الكــاسي
أنا الخمــرةُ والــــدنّ انا الساقي ، أنا الحــاسي

★

خلعتُ ثوباً لم تفصّلهُ يـــدي وهمتُ في الوادي بلا سربال
وخِلْتني انطلقتُ من سلاسلي وخلُصتْ ذاتي من الأوحالِ
فلم أزل ارسفُ في أغــلالي
ولم أزل في حندسِ المحالِ
فمــا أبكي من الغربـــةِ عن جارٍ وعن خـــدْنِ
فقــد يرجــعُ جــيراني وتبقــى غربتي عـــني

★

عرفتُ في النهارِ كل مقبــلٍ ومدبرٍ ، وما عرفتُ حــالي

واستترتْ عني السهول والربى

تحت الدجى والبحرُ ذو الأهوالِ

لكنما لم تستتر آمـــالي

عني ولا نقصي ولا كمالي

ولا ضعفي ولا عزمــي ولا قبحي ولا حســني

فكم أهربُ من نفســي ومـا لي مهربٌ مني

★

فقلتُ من هذا؟فقال صاحبي موسوسٌ يهذي من الخيــالِ

يأوي إلى الادغال في نهــارهِ كأنه جزءٌ من الادغــالِ

وفي الدجى لهُ صراخٌ عالِ

كأنهُ والليلَ في نضــالِ

كأنَّ الليلَ يوثقهُ بأغلالٍ وأمراسِ
ويضرب جسمهُ العاري بسوطِ الظالم القاسي

★

ما ان رآهُ احدٌ الاّ رآهُ شاخصَ الطرف إلى الأعالي
كأنما يرقب ركباً صاعداً أو هابطاً وليس غير الآلِ
كأنما يخشى على الهلالِ
وسائر الشهب من الزوالِ
فصاح الصوت : ما ارجوهُ في نفسي وما أحذر
فمهما رحُبَ الافقُ فنفسي الأفُقُ الأكبر

★

ليس جلالُ الليلِ ما أدهشني وانما أدهشني جلالي
ولا جمالُ الشهبِ ما حيّرني وإنما حيّرني جمالي

ان كان بي شوقٌ إلى وصالِ
فإنمـــا شوقي إلى خيـــالي
توشّحتُ الضحى والليلَ في انسي وفي حزُني
فما زاد الدجى خـــوفي ولا زاد الضحى أمـــني

★

لم اهجر الناس فأصناف الورى من السلاطين إلى الموالي
إلى ذوي العلم إلى أهلِ الغنى من واصلٍ وهاجرٍ وســـالِ
وحـــاضرٍ وسابقٍ وتـــالِ
في قبضتي « اليمنى » بلا جدالِ
تلاقى الاحمقُ الجاهلُ والعالِمُ في كفّـــي
ومن كان له إلــفٌ ومن كان بلا إلفِ

★

وفي يدي «الشمال» أشكال المنى   وصورُ اليقين والضلالِ
وكل ما لعاقل أو جاهلِ   من لذةٍ أو ألمٍ قتّالِ

وسائر الامور والاحوالِ
وكل شيءٍ قال شخصٌ: ذا لي

وكان الليلُ قد ازمعَ ان يحدو مطاياهُ
فساد الصمت في الوادي كأن الموتَ يغشاهُ

★

فسرتُ والفجرُ دليلي باحثاً   في الغابِ والسفوح والتلالِ
فلم أجد غير صريعٍ هامدٍ   منطرحٍ في جانب الشلاّلِ

«لا شيء» في قبضتهِ الشمالِ
وليس في اليمنى سوى «صلصالِ»

قطرة الطَّلَ

إن ترَ زهرة وردٍ فوقها للطلّ قطـره

فتأملْهـا كلغزٍ غامضٍ تجهلُ سرّه

ولتكن عينك كفّـاً وليكن لمسك نظره

ليستِ الحمراء جمره ، لا ولا البيضاء درّه



ربّ روحٍ مثل روحي عافتِ الدنيا المضرّه

فارتقت في الجوّ تبغي منزلاً فوقَ المجرّه

علّها تحيا قليلاً في القضاء الحرّ حره

ذرفتهـا مقلةُ الظلماء عند الفجرِ قطرَه

نار القِرى

روحي التي بالامس كانت ترتَعُ
في الغـابِ مثلَ الظبيـة القمراءِ
تقتاتُ بالثمر الجَنيّ فتشبـعُ ويبلّ غلّتها رشاش المـاء
نظرتْ اليكِ فأصبحت لا تقنعُ
بالمـاء والأفيـاء في الغـبراء
تصغي وتنصت، والحمامة تسجع إصغاؤها لكِ، ليس للورقاء

ناديتِها فلها اليكِ تطَلُّعُ هذا التطلّع كان أصل شقائي
جنّحتِني كيما أطير فلم أطرْ هيهات انك قد طويت سمائي

★

قد كان يسبيني الجمالُ الرائعُ حتى لمحتك فهو لا يسبيني
عصفت بصدري لليقين زوابع ثلّتْ عروش توهّمي وظنوني
فأنا على ما ضاع مني جازعُ ان الذي قد ضاع جدّ ثمينِ
لولاكِ ما مات الخيال اليافع أفتعجبينَ إذا كرهتُ يقيني
هذا صَنيعكِ بي ، فما أنا صانعُ ؟
قد شاء بحركِ ان تضلّ سفيني
جرّدتِ هذا الطين من أوهامهِ
وكبرت عن قارورة من طينِ

★

كيف الوصول اليكِ يا نار القرى

انا في الحضيض وأنت في الجوزاء

لي الف باصرةٍ تحنّ كما ترى لكنّ دونكِ ألف ألف غطاء

لو من ثرى ، مزّقتها بيد الثرى ،

لكنهـا سجُفٌ مـن الأضواء

ساءلتُ قلبي إذ رأى فتحيّرا

ماذا شربتَ فمِدتَ ؟ قال : دمائي

يا ليتهُ قد ظل أعمى كالورى فلقد نعمتُ ، وكان في ظلماء

قد شوّشت كف النهار سكينتي يا هذه : ردّي إليّ مسائي

★

أمسيتُ حين لمستني بيديكِ لي الف باصرةٍ والف جناحِ

ولمحتُ نار الوحي في عينيكِ والوحي كان سُلافة الارواحِ

فنشرت أجنحتي وحمت عليكِ   متوهماً اني وجدتُ صباحي

قد كان حتفي في الدنوّ اليكِ   حتف الفراشة في فم المصباحِ

فسقطتُ مرتعشاً على قدميكِ   النار مهدي والدخان وشاحي

يا ليت نوركِ حين احرقني انطوى

فعلى ضيائكِ قد لمست جراحي

ابن الليل

أشرفَ البدر على الغابة في إحدى الليالي
فرأى الثعلبَ يمشي خلسةً بـين الدوالي
كلما لاح خيالٌ خافَ من ذاك الحال
واقشعرا
ورأى ليثاً هصوراً واقفاً عند الغـديرْ
كلما استشعر حِسّاً ملأ الوادي زئيرْ

فاذا بالماء يجري خائفاً عند الصخور

مكفهرّا

ورأى البدرَ ابنُ آوى يتهادى في الفضـاءْ

كمليكٍ حوله الشهب جنودٌ وإمـاءْ

قال : لو كنتُ رفيق البدر ، أو بدر السماءْ

أو خيالـهْ

عشت حراً جيرتي الشهب ولي الظلماء مركبْ

آمناً ، ألعب بالبرق وطوراً بيَ يلعب

لا أبالي سطوة الراعي ولا الكلب المجرّب

وصياله

غير ان الليث لمـا أبصر البدر الضحوكا

قال : يا ابن الليل مهما اشتهي لا أشتهيكا

أنت وضّاح ولكن قاحلٌ لا صيدَ فيكا
أو حيالكْ
لك هذا الأفق لكن هو أيضاً للكواكبْ
إنمـا لو كنتَ ليثـاً ذا نيوب ومخالبْ
لم تعثْ في وجهك الوضاح ألحاظُ الثعالب
صُن جمالك

أنا

حرٌّ ومذهبُ كل حرّ مذهبي
ما كنت بالغاوي ولا المتعصبِ

اني لأغضب للكريم ينوشه
مَن دونهُ وألوم من لم يغضبِ

وأحبّ كل مهذّب ولو انّهُ
خصمي وأرحم كل غير مهذبِ

يأبى فؤادي ان يميل إلى الأذى
حبّ الأذيةِ من طبـاع العقربِ
لي أن أردّ مساءةً بمسـاءةٍ
لو انني أرضى ببرقٍ خلّـبِ
حَسْبُ المسيء شعورُه ومقـالهُ
في سرّهِ : يا ليتـني لم أذنبِ

★

أنا لا تغشّيَ الطيالسُ والحلى
كم في الطيـالس من سقيمٍ أجربِ
عيناكَ من أثوابـه في جنـةٍ
ويداك من أخـلاقهِ في سبسبِ

وإذا بصُرتَ به بصرت بأشمطٍ
وإذا تحدثه تكشّفَ عن صبي

اني إذا نزل البلاء بصاحبي
دافعتُ عنه بناجذي وبمخلبي

وشددتُ ساعده الضعيف بساعدي
وسترتُ منكبهُ العريّ بمنكبي

وأرى مساوئه كأني لا أرى
وأرى محاسنهُ وان لم تُكتَبِ

وألوم نفسي قبله ان أخطأتْ
وإذا أساء اليّ لم أتعتّبِ

متقرّبٌ من صاحبي فاذا مشت
في عِطفه الغلواء لم اتقربِ

أنا من ضميري ساكنٌ في معقلٍ
أنا من خلالي سائرٌ في موكبِ

فإذا رآني ذو الغباوة دونه
فكما ترى في الماء ظلَّ الكوكبِ

الإله الثرثار

زعم المرء انمــا هــو ربٌّ   كم يلوكُ الكلامَ هذا الالـهُ

يلفظ البحرُ وهو ملحٌ اجــاجٌ   لؤلؤاً يبهرُ العيونَ ســناهُ

ما ادعى الدرّ أنه صورة البحـ   ـرِ ولا قــال : إنني إيّـــاهُ

لا ، ولا قال كل شيء إلى المحـ   ـوِ وما خصّ بالخلود سواهُ

ان تكن للخلود ذاتُك في الـدُّ
نيا فما ذا الأمرُ الـذي تهواهُ ؟

وإذا صرت غير شخصك في الأ
خرى فهـذا الفنـا الذي تخشاهُ
في التراب الذي تدوس عليه الف دنيا وعالَمٍ لا تـراهُ
أنت جزءٌ من الكيان وفيه كثَراهُ ، كنبتِه ، كحصاهُ
كالورود التي تحبّ شذاهـا والبعوض الذي تخافُ اذاهُ
ما لحيٍّ بالموت عنه انفصـال ان دنياهُ هـذه أخـراهُ

الأشباحُ الثلاثة

راودني النوم وما برحا حتّى طأطأتُ له راسي
اطبقتُ جفوني فانفتحا باب الرؤيا والوسواسِ
أبصرت كأنيَ في موضعْ ما فيه غير الأرواح
فوقفتُ بعيداً أتطلّع فلمحت ثلاثة أشباح
ولدٌ يتهادى في العشرِ وفتى في بُردِ العشرينا

والثـالث شيخٌ في طِمـر   ذو جسمٍ يحكي العرجونـا
وإذا بالأوّل   يقتــربُ مني كالطـائر في الوثبِ

فشعرتُ كـأنيَ أضطـرب   وكـأن خطاهُ على قلبــي
يا نفسي ما هذا الفرَقُ ؟ لا رمحٌ معـه ولا نبْــل

ولمـاذا الخشـية والقلـقُ والخلـق أحبُّهـم الطفـل
وإذا بالطفـلِ يخاطبـني بكـلامٍ لا يتكلّفـــهُ

ويمـــازحـــني   ويداعبني   فكـأني شخصٌ يعرفـهُ
ما بالك منكمشـاً كمِـداً قم نلعبْ في فيء الشجـر

ونهــزّ الأغصنَ والعمـدا   ونــذود الطير عن الثمر
أو نصنع خيلاً من قصـــبِ   أو طيّـاراتٍ مـن ورقِ

ومدىً وسيوفاً من خشبٍ ونجولُ ونركض في الطرق
أو نأتي بالفحم القاتمْ ونصوّر فوق الأبوابِ

تنّيناً في بحرٍ عائم أو ليثاً يخطر في غابِ
أو كلباً يعدو أو حَملا يرعى أو نهراً أو هضبهْ

أو ديكاً ينقد أو رجلا يمشي ، أو مهراً ، أو عربَهْ
أو نجبلُ ماءً وترابا ونشيد بيوتاً وقبابا

أو نجعل منهُ أنصابا أو نصنع حلوى وكبابا
مثّلتُ الطفل ودنياهُ فأحبّت نفسيَ دنياهُ

وودتُ لو أني اياه بل خلتُ كأني اياه
فضحكتُ ولجّ بيَ الضحكُ حتّى استلقيتُ على ظهري

فاستيقظ في الولـد الشكّ فتوقّف يعجب من أمـري
ويقول : ايا هـذا قدكا فوَحقّك ذا الطيشُ الاكبر
ما تضحك مني بل منكـا ايّاك أنا لو تتـذكر !
وتوارى عـني واحتجبا كالموجة في عرض النهـر
فتضايق قلبي واضطربـا وارتجت روحي في صدري

٢

وإذا الشبح الثاني أقبـلْ يترنّـح مثل المخمـورِ
الليلُ على الدنيا مُسدل وعليه وشاحٌ من نـورِ
معصوب المقـلة والدربُ وعرٌ وكثير الآفـاتِ
كسفينٍ ليس لهـا ربّ تجري في بحـر الظلمـاتِ

ماذا في الافق ؟ فقد وقفا يتــأملُ فيــه ويبتســم
هل لاح لــه وجهٌ عرفــا أم هزّ جوارحــهُ نغَــمُ

أم أبصر آلهــة الحــبّ تدعوه اليهــا ايمـــاءَ
لا شيءٌ في الأفق الرحب وكـأن هنــالك أشيـاءَ

الطــيرُ تغــني للزهــرِ ويظنّ الطــيرَ تســاجلهُ
والزهــر ترحّب بالفجــر ويظن الزهر تغــازلــهُ

ونظرتُ اليــه في الـــبرّ يتمنى لو خــاض البحــرا
ونظرت اليــه في البحــرِ يتمنى لو بلــغ الـــبرّا

يتأفّفُ من بطء الــدهر والدهرُ يسير بــه وثبــا
وينــام ليحلمَ بالفجـــر والفجر يضيء له الدربــا

ويسائل عن كأس الخمرِ ويسائلهُ عنها الناس
في الليل وفي وضح الفجرِ والخمرةُ فيه والكاس
فصبرتُ ولازمتُ الصمتا حتّى دانى الظلّ الظلّ
فأشرتُ اليه : من أنتا ؟ فأجاب : أنا ذاك الطفلُ
ومضى كالظلّ ِ إذا انتقلا وأنا أرجو لو لم يمضِ
فأعدت لنفسي ما ارتجلا فتعجّب بعضي من بعضي

٣

الشمسُ تزلّ عن الأفق كالروح المحتضر الساجي
غمرتها أمواج الغسَقِ فتوارت خلف الأمواجِ
والغيم الأسود يحتشدُ طبَقاً في الجو على طبق

والليــلُ يطول ويطّــرِدُ والأرض كسارٍ في نفقِ
وإذا شــيخٌ في صحراءٍ كالزورق في عرض البحرِ

أعيـاهُ الصلح مع المـاءِ وأضاع الدرب إلى الـبرِّ
يمشي في الأرض على مهلٍ وعلى حذرٍ لكــن يمشي

كالشاة تســاق إلى القتــلِ بعصا جبـارٍ ذي بطـشِ
يا شيـخُ ... لماذا لا تقـفُ دَمِيَتْ رجلاك من الركض

فأجـاب بصوتٍ يرتجـفُ الأرض تسير على الأرض!
يا شيخ ... رويداً فالبدرُ سيضيء الدربَ فتستهدي

فأجاب : ويتـلوه الفجـرُ لكن سيضيء لمن بعــدي
أيلــذّ لغصنٍ منكســرٍ عرّتــه الريحُ من الـورقِ

انْ يبصر في ضوء القمرِ ما كان عليه على الطرُق

ما لذّة ميت في الرمس بالزهر الفوّاح العطرِ

نورٌ لا يشرق في النفس كغناءٍ في أُذن الحجرِ

ما استخْفت عني الافلاكُ والشهب بل استخفى حبي

لم تملأ دربي الأشواكُ ان الاشواكَ لفي قلبي

يا شيخُ : شجاني ما قلتا وزرعت بنفسي آلامك

من أنت ؟ أجاب : أنا أنتا

أنا ذاتُك تمشي قدّامك

★

كم أبحث بين الاجرامِ عني وأنقّب في الأرضِ

أحلامي تطمر أحلامي بعضي مدفونٌ في بعضي

لم أبصر ذاتي بالأمسِ في لوحِ زجاجٍ أو ماءِ

بل لاحت نفسي في نفسي فهي المرئيّة والرائي

العلّيقة

ذات شوكٍ كالحرابِ أو كأظفار العُقابِ
ربضت في الغاب كاللص ، لفتكٍ واستلاب
تقطعُ الدرب على الفلاح والمولى المهاب
صنتُ عنها حُرّ وجهي ، فتصدت لثيابي
كلما افلتُّ من نابٍ تلقتني بناب
فلها نهشُ الافاعي ، ولها لسعُ الذباب

وأذاها في سكوني ، كأذاها في اضطرابي

وهي كالقيد لساقي ، ولجيدي كالسخاب

فكأني في عناقٍ ، لا نضالٍ ووثابِ

★

قلتُ : يا ساكنةَ الغابِ ، ويا بنت التّراب

لا تلجّي في اجتذابي ،أو فلجّي في اجتنابي

إنّ عوداً فيه ماءٌ ليس عوداً لاحتطاب

أنا في فجر حياتي ، أنا في شرخ شبابي

الهوى ملءُ فؤادي ، والصبى ملء اهابي

والمنى تنبتُ في دربي ، وتمشي في ركابي

أنا لم أضجر من العيش ولم أملل صحابي

لم أزل ألمحُ طيف المجد حتّى في السراب

لم أزل أستشعر اللذة حتى في العـــذاب
لم أزل أستشرف الحسن ولو تحت نقاب

★

ما بنفسي خشية الموت ولا منه ارتهابي
أنا للأرض ، وان طال عن الأرض اغترابي
غير اني لم يزل ضرعي لمريٍ واحتلابِ
لم أهب كل الذي عندي، ولم يفرغ وِطابي

★

أنا نهرٌ لم أتمّم بعد في الأرض انسيابي
أنا روض لم أذع كلّ عبيري وملابي
أنا نجمٌ لم يمزق بعد جلبـــابَ الضبابِ
أنا فجرٌ لم تتوّج فضّتي كل الروابـي

لي رغابٌ لم تلـد بعـدُ فتبـلى بالتبـابِ
وبنفسي الفُ معنى لم يضمّن في كتابِ

★

فاذا استنفدتُ ما في دنّ نفسي من شرابِ
وإذا أنجم آمالي توارت في الحجابِ
وإذا لم يبق في غيميَ مـاءٌ لانسكابِ
وإذا ما صرتُ كالعلّيق تمثال اكتئاب
لا يُرجّينيَ محتـاجٌ ، ولا يطمعُ ساب
فاجذبيني .. ان يكن منّيَ نفعٌ للترابِ

هِيَ

أروي لكم عن شاعرٍ ساحرٍ حكايةً يُحمد راويها
قال : دعا أصحابَهُ سيّدٌ في ليلة رقّت حواشيها
فانتظمت في قصره عصبةٌ كريمةٌ لا واغلٌ فيها
من نبلاء الشعب ساداتها وخيرة الغيد غوانيها
حتّى إذا ما جلسوا كلهم وطاف بالاكواب ساقيها
قام أميرُ القصر في كفّهِ كأسٌ أعارتهُ معانيها

وقال : يا صحبُ على ذكركم املأها حبّاً وأحسوها
وذكرِ مَن قلبيَ عبدٌ لها ومهجتي إحدى جواريها
حبيبتي « لمياء » سمّيتها ولم أكن قبلاً أسميها
فشربوا كلهمُ سرّها وهتفوا كلهمُ تيها
فأجزل الشكرَ لأصحابهِ الشكرُ للنعمةِ يُبقيها
وصاح بالساقي : علينا بها فطاف بالاكواب ساقيها
وقال للاضياف : سمعاً ! فلي كلمةٌ ، ألعدلُ يمليها
ما أنا وحدي الصبّ فيكم ولا كلّ العذارى من أناجيها
فكلّ نفسٍ مثل نفسي لها في هذه الدنيا أمانيها
وكلّ قلبٍ مثل قلبي له حسناء ترجوهُ ويرجوها
يا صحبُ من كانت به صبوةٌ يعلنها الآنَ ويبديها
فنهضوا ثانيةً كلّهم ورفعوا الكاسات تنويها

كلهمُ يشربُ سرّ الـــتي يهوى من الغيدِ ويُطريهـا

★

وكان في الشَربِ فتى باسلٌ طلعتـــهُ تســحرُ رائيهــا
شارك في أوّل أقداحهــم ولم يشاركهـم بثانيهــا
وأنتَ ؟ قال الصحب واستضحكوا
هــل لك حسناءٌ نحيّيهــا ؟
قال أجل : اشرب سرّ الـتي بالروح تفديني وأفديهــا
صورتها في القلب مطبوعةٌ لا شيء حتّى الموت يمحوهـا
لا ترضّـاني ريــاءً ولا تلثمني كذبـاً وتمويهــا
يضيعُ مالي ويزول الصبـى وحبّهــا باقٍ وحبّيهــا
قد وهبتني روحها كلّهــا ولم تخف اني اضحّيهــا
سرّ الـتي لا غادةٌ بينكـــم مهما سمت في الحبّ تحكيهــا

فأجفلوا منهُ كمِن حيّةٍ نهّاشة قد عزّ راقيها
وقالت الغادات : أفٍ له قد شوّه المجلس تشويهـا
لو ظل فيما بيننا صامتاً لم تسمع الآذانُ مكروها
وقلقل الفتيانُ أسيافهم فأوشكت تبدو حواشيها
وتَعتع الشادي بألحانهِ وماجتِ الدارُ بمن فيها
وقال قومٌ : خبّلته الطلا ! وقال قومٌ : صار معتوها !
فصاح ربّ الدار : يا سيّدي وصفتَها ، لِمَ لا تسمّيها

أتخجلُ باسم من تهوى ؟
أحسناءٌ بغيرِ اسم ؟
فاطرقَ غير مكترثٍ
وتمتمَ خاشعاً ... أمّي ! ؟

لا أنت ولا أنا

قلتُ : السعادةُ في المنى فرددتَني
وزعمتَ أنَّ المرء آفتُهُ المنى
ورأيتُ في ظلِّ الغنى تمثالهـا
ورأيت أنت البؤس في ظل الغنى
ما لي أقول بأنهـا قد تُقتنى
فتقول أنتَ بأنهـا لا تُقتنى

وأقول ان ُخلقت فقد ُخلقت لنا
فتقول ان ُخلقت فلم ُتخلق لنـا

وأقول إني مؤمـــنٌ بوجودهـــا
فتقول مـا أحراكَ ان لا تؤمنا

وأقول سرٌّ سوف ُيعلن في غد
فتقول لا سرٌّ هنـاك ولا هنـا

يا صـــاحبي هذا حوارٌ باطـلٌ
لا أنت أدركت الصواب ولا أنا

الناسكة

أبصرتُ في الحقل قُبيل المغيبْ

سنبلةً في سفح ذاك الكثيبْ

حانيـةً مطرقـة الرأسِ كأنمـا تسـجد للشمسِ

أو أنها تتلو صلاة المسـاءْ

★

فملت عن راهبة الحقلِ

وسرت لا ألوي على ظلّي

ألتقط الحبّ وأذريهِ وتارة في النار ألقيهِ

مستخرجاً منه لجسمي غذاء

★

قد غابت الشمس وراء القممْ

وسكتَ الطير الذي لم ينمْ

لكنّ ناري لم تزل ترعج ولم أزل آكل ما تُنْضج

يا حبّذا النارُ ونعم الشواءْ

وإنني في مرَحي والـدَّدِ

إذ صاح بي صوتٌ بلاموعدِ

ما الحبّ يا هذا ولا السنبل ما تأكل النار وما تأكل

وإنمــا اسلافك الاصفيــاءْ

★

لا بشرٌ لا طــائرٌ مــاثــلُ
يا عجباً ! نطقٌ ولا قــائل
من أين جاء الصوت؟لا أدري لكنّما ناســكة الـــبرّ
قد رفَعت هامتها للعــلاءْ

عيد النهى (١)

قل للحمائم في ضفاف الوادي يا ليتكنّ على شغاف فؤادي
لِترينْ كيف تبعثرت احلامه وجرت به الآلام خيل طراد
كانت تشع على جوانبه المنى فَخَبَتْ وبُدّل جمرها برماد
أسعدنه فعسى يخفّ ولوعُه ان الشجيّ أحق بالإسعاد
ذهب الصبا وبقيت في حسراته ليت الأسى مثل الصبا لِنفاد

(١) هو اليوبيل الذهبي لمجلة المقتطف .

إن الشباب هو الغنى فإذامضى وأقمتَ لا ينفك فقرك بادِ
أمسيت انظر في الحياة فلا أرى إلا سواداً آخذاً بسوادِ
القى الصباحَ فلا يطول تأملي حتى يحول شعاعه لصعادِ
وإذا تقابلني النجوم تخاوصت فكأنما هي أعين الحسّادِ
مائم من ذكرى إذا خطرت على قلبي استراح سوى خيال الوادي
أفلا تزال الشمس تصبغ وجهه بالورس آونةً وبالفرصادِ
أفلا يزال يذوب في أمواجهِ ذهبُ الأصيل وفضّة الآرادِ
لهفي إذا ورد الرفاق عشيّةً وذكرت اني لست في الروّاد
وإذا الحمام شدا وصفق موجهُ ان لا اصفق للحمام الشادي
وإذا النخيل تطاولت اظلاله ان لا يكون مظلّتي ووسادي
وإذا الكواكب رصّعت آفاقه انلا يكون لرعيهن سهادي
ذقتُ الهوى وعرفته في شطّهِ ان الهوى للمرء كالميلاد

لا تدرك الأكباد سر وجودها   حتى يجول الحبّ في الاكباد
ماعشت لم يمسس جوانحك الهوى   لم تدرِ ما في العيش من امجادِ
لا تبصر العين الرياض وحليها   الا على ضوء الصباح الهادي

★

وطنان أشوَق ما أكون اليهما   مصر التي أحببتها وبلادي
ومواطن الارواح يعظم شأنها   في النفس فوق مواطن الاجساد
حرصي على حب «الكنانة» دونه   حرص السجين على بقايا الزادِ
بلد الجمال خفيّهِ وجليّهِ   والفن من مستطرفٍ وتلادِ
عرضت مواكبها الشعوب فلم أجد   إلا بمصر نضارة الآبادِ
كم من دفينٍ في ثراها لم يزل   كالحيّ ذا مِقَةٍ وذا احقادِ
ومشيّدٍ ، للناس إذ يغشونه   من كل أرضٍ خشية العبّادِ
عاش الجدودُ وأثّلوا ما أثّلوا   واليوم ينبعثون في الاحفادِ

المسبغين على النوابغ فضلهم كالفجر منبسطاً على الاطواد
أبناء مصر الناهضين تحيــة كودادكم ان لم أقل كودادي

★

من شاعرٍ كلفٍ بكم وبأرضكم أبداً يوالي فيكمُ ويُعادي
ان تكرموا شيخ الصحافة تكرموا أسنى الكواكب في سماء الضادِ
خلع الشباب على الكنانة مطرفاً هو كالربيع على ربىً ووهاد
ما زال يقحم في الجهالة نورهُ حتى تقاصر ليلها المتمادي
بصحيفةٍ نورُ العيونِ سوادها وبياضُها من ناصع الأجيادِ
ينبوع معرفةٍ وهيكل حكمةٍ ووعاء آدابٍ وكنز رشادِ
اغلى المواهبِ والعقول رأيتها سكنت قصور مهارقٍ ومداد
ذِكر المجاهد في الحقيقة خالدٌ ويزول ربّ السيف والأجناد
لولا جبابرة القرائح لم يسر في الارض ذكر جبابر القوّاد

ما ذلّلت سبلَ المعـالي امّـــةٌ
إلا بقوة مصلح أو هـــادِ

★

« صرّوف » يسألك الأنام فقل لهم
كم في حياتك ساعة استشهادِ
طلعَ القنـوطُ عليـك من أغواره
فرددت طائره وجأشك هـادِ
ومضيت تستقصي الحياة وسرّهـا
في كل عاقـلةٍ وكـل جمادِ
حتّى لكدت تحسّ هاجسـةَ المنى
وتبين كم في النفس من اضدادِ
أنت الذي أسْرتْ بـه عزمـاته
والدرب غامضـة عـلى الروّادِ

والليل آفاتٌ على أغوارهـا   والهولُ أنجاد على الانجـادِ
انّ الحقائق أنت ناشر بندهـا   في حين كان العلم كالإلحادِ
والعقل في الشرقيّ من أوهـامـه
كالنسرِ في الأوهـاق والأصفـادِ
تشقى متى تشقى الشعوبُ بجهلها   وتعزّ حين تعزّ بالافرادِ
الساهرين الليل مثل نجومـه   فكأنهم للدهر بالمرصـادِ
الباذلين نفوسهم لم يسألوا   وعلى النفوس مدارع الفولادِ
خفضوا جناحهـمُ تحت برودهم   همم الملوك وصولة المـرّادِ
لهمُ الزمان قديمه وحديثـهُ   ما الناس في الدنيا سوى الآحادِ
ان الانام على اختـلاف عصورهم
جعلوا لأهل العلم صدر النـادي
ما العيد للخمسين بل عيد النهى   وفنونه والخـاطر الوقّـادِ

عيدُ الحصافة والصحافة كلها

في مصر ، في بيروت ، في بغدادِ

ما العيش بالاعوام كم من حقبة

كالمحوِ في عمر السواد العادي

العمرُ – إلا بالمآثرِ – فارغٌ كالقَطر طال به عناء الحادي

وسوى حياة العبقري نقيسها فتقاس بالآجال والآمادِ

مَوتُ العَبقَري (1)

كل ميت مهما علا في حياتـهْ كلّ ثاوٍ تحت الثرى من لداتـهْ

لا حدودٌ ولا مقاييس في المـوتِ
تسـاوى الجميع في سـاحاتـهْ

حاصدٌ حقله الوجود ، وما الاحياء
الاّ كشـوكـهِ ونبـاتـهْ

---

(1) قيلت في رثاء العلامة المرحوم سليمان البستاني .

من نجا منه وهو في روحاتـه إنما قد نجـا إلى غدواتـه

ليس زرع الغصّات منهُ لثأرٍ ليس حصد اللذات من لذّاته

انه يسلب الغوايةَ كالرشـد فليس التمييز من عاداته

لا تقل : ما وراءه ؟ ذاك سرٌّ خبّـأتهُ الحياة في ظلماتـه

ربّ قبرٍ نمشي عليه وفيـه شهواتٌ تُربي على ذرّاتـه

كل ذي رغبة دنت أو تسامت سوف يمضي يوماً بلا رغباته

ليس عمر الفتى وان طال إلاّ ما حوتهُ الحياة من مكرماتـه

يعظ النابغُ الخلائقَ حيّـاً إنما موتهُ اجلّ عظـاتـه

★

ظهر الموت للعيون جديـداً امس في بطشه وفي فتكاته

وهو تربُ الانسان منذ استوى في الأرض حياً مشى على خطواته

ما الردى بالحديث في النـاس لكن
نكتـة العلم ضـاعَفت روعـاته
فقد الخلق واحداً من بنيـه وأضاع القريضُ خيرَ حماته
شاعرٌ كان يرقص الدهرُ أحيـاناً
ويبكي حينـاً على نغمـاتـه
ذهبالساحرون والسحر باقٍ في عيون المهى وفي كلماتـه
منشىءٌ رقّ لفظه كسجاياهُ ورفّ الجمال في جنبـاتـه
توّج « الضاد » بالملاحم حتى خالها القوم بعض مختَرعاته
نقل الأعصر الخوالي الينـا في كتابٍ ، لله من معجزاتـه
فرأينا « هومير » ينشد فينا شعرهُ مثل واحدٍ من رواتـه
كان في دولة السيوف وزيراً ألمعيـاً ودولةً في ذاتـه
ما بكينا الرفات لمّا بكينـا كم رفاتٍ في الأرض مثل رفاته

بل بكينا لأننا قد حُرمنا بالمنون المزيدَ من آياته

راعنا ان يزول عنّا ، وانّا لم نطِق ْ ان نطيلَ حبل حياته

قد اردنا حمل البشائر للعلم فكنّا لأهلهِ من نعاته

إن في « مصر » و « الشآم » دويّاً

ما سمعناهُ قبل يوم وفاته

وأحسّ « العراق » حين أتاهُ

النعيُ طعمَ الردى بماء « فراته »

و « بلبنان » رجفةٌ تتمشى في ينابيعه وفي نسَماته

فتّحَ الموتُ حين أغمض عينيهِ عيون الورى على حسناته

فهو ماضٍ لهُ جلالة آتٍ من فتوحاته ومن غزواته

والفتى العبقريّ يولد إذ يولدُ

في مهدهِ ، ويوم مماته

الغَديرالطَمُوح

قال الغديرُ لنفسه يا ليتني نهرٌ كبيرْ

مثل الفراتِ العذب أو كالنيل ذي الفيض الغزير

تجري السفائنُ موقراتٍ فيه بالرزقِ الوفير

هيهات يرضى بالحقيرِ من المنى إلاّ الحقير

وانسابَ نحو النهرِ لا يلوي على المرج النضير

حتّى إذا ما جاءهُ غلب الهديرُ عَلى الخرير

الطلاسم

جئتُ ، لا أعلمُ من أين ، ولكني أتيتُ
ولقد أبصرتُ قدّامي طريقاً فمشيت
وسأبقى سائراً ان شئتُ هذا أم أبيت
كيف جئتُ ؟ كيف أبصرتُ طريقي ؟
لست أدري



أجديـدٌ أم قـديمٌ أنا في هـــذا الوجود

هــل أنا حرٌ طليقٌ أم أسـيرٌ في قيـود

هـل أنا قـائد نفسي في حيـاتي أم مقود

أتمنى انني أدري ولكن ..

لست أدري

★

وطريقي مـا طريقي ؟ أطويلٌ أم قصير ؟

هـل أنا أصعـدُ أم أهبط فيـهِ وأغور

أأنا السـائرُ في الدرب أم الدربُ يسـير

أم كلانا واقفٌ والدهر يجري ؟..

لستُ أدري

ليتَ شعري وأنا في عالم الغيب الامين
أتراني كنتُ أدري انني فيه دفين
وبأني سوف أبدو وبأني سأكون
أم تراني كنتُ لا أدرك شيئاً ؟..
لستُ أدري

★

أتراني قبلما أصبحتُ إنساناً سويّا
كنتُ محواً أو محالاً أم تراني كنتُ شيّا
ألهذا اللغز حلٌّ ؟ أم سيبقى أبديّا
لستُ أدري .. ولماذا لستُ أدري ؟..
لستُ أدري

البحر

قد سألتُ البحرَ يوماً هل أنا يا بحرُ منكا ؟
أصحيحٌ مـــا رواهُ بعضهم عنّي وعنكا ؟
أم ترى مـــا زعموا زوراً وبهتــاناً وإفكا ؟
ضحكتْ أمواجه مني وقالت :

لستُ أدري



أيهــا البحرُ أتدري كم مضت ألفٌ عليكا
وهــل الشاطئ يــدري انــه جــاثٍ لديكا
وهــل الانهــار تــدري انهــا منك اليكا

ما الذي الامواج قالت حين ثارت ؟

لستُ أدري

★

أنتَ يا بحرُ أسيرٌ آه ما أعظم أسْرك

أنتَ مثلي أيها الجبّار لا تملكُ أمرك

أشبهتْ حالك حالي وحكى عذريَ عذرك

فمتى أنجو من الأسرِ وتنجو ؟

لستُ أدري

★

ترسلُ السحبَ فتسقي أرضنا والشجرا

قد أكلناك وقلنا قد أكلنا الثمرا

وشربناكَ وقلنا قد شربنا المطرا

أصوابٌ ما زعمنا أم ضلالٌ ؟

لستُ أدري

★

قد سألتُ السحبَ في الآفاق هل تذكر رملك

وسألتُ الشجرَ المورق هل يعرف فضلك

وسألتُ الدرّ في الاعناق — هل تذكر أصلك ؟

وكأني خلتها قالت جميعاً :

لستُ أدري

★

يرقص الموجُ وفي قاعك حربٌ لن تزولا

تخلق الاسماكَ لكن تخلق الحوتَ الأكولا

قد جمعتَ الموتَ في صدرك والعيشَ الجميلا

ليت شعري أنت مهدٌ أم ضريحٌ ؟

لستُ أدري

★

كم فتاة مثل ليلى وفتىً كابن الملوّحْ

أنفقا السّاعات في الشاطئ تشكو وهو يشرح

كلما حدّث أصغت وإذا قالت ترنّح

أحفيفُ الموج سرٌ ضيّعاه ؟

لستُ أدري

★

كم ملوكٍ ضربوا حولك في الليلِ القبابا

طلعَ الصبحُ ولكن لم يجد إلاّ ضبابا

ألَهُمْ يا بحرُ يوماً رجعةٌ أم لا مآبا

أهمُ في الرملِ ؟ قال الرملُ إني

لستُ أدري

★

فيك مثلي أيها الجبّـار أصدافٌ ورملُ

انمـا أنتَ بلا ظلٍ ولي في الأرضِ ظلّ

انمـا أنتَ بلا عقـلٍ ولي يا بحرُ عقلُ

فلماذا يا ترى أمضي وتبقى ؟

لستُ أدري

★

يا كتابَ الدهرِ قل لي أله قبـلٌ وبعدُ

أنا كالزورق فيـه وهو بحرٌ لا يُحـدّ

ليس لي قصدٌ ، فهل للدهرِ في سيريَ قصدُ ؟

حبّذا العلم ولكن كيف أدري ؟

لستُ أدري

★

إنّ في صدريَ يا بحرُ لأسراراً عجابا

نزلَ السترُ عليها وانا كنت الحجابا

ولذا أزدادُ بُعداً كلما ازددت اقترابا

وأراني كلّما أوشكت أدري

لستُ أدري

★

انني يا بحرُ بحرٌ شاطئاهُ شاطئاكا

الغدُ المجهولُ والأمس اللذانِ اكتنفاكا

وكلانا قطرةٌ يا بحرُ في هذا وذاكا

لا تسلني ما غدٌ ما امسِ ؟ انني
لستُ أدري

في الدَّيْر

قيل لي في الدير قومٌ أدركوا سرّ الحياةْ
غير اني لم أجـد غـير عقولٍ آسنات
وقلوب بَلِيَتْ فيها المنى فهيَ رُفـات
ما أنا أعمى فهل غيريَ أعمى ؟
لستُ أدري

قيل : أدرى الناس بالاسرار سكان الصوامع
قلت : ان صحّ الذي قالوا فإن السرّ شائع
عجباً كيف ترى الشمس عيونٌ في براقع
والّتي لم تتبرقع لا تراها ؟

لستُ أدري



ان تكُ العزلة نسكاً وتقى ، فالذئبُ راهبْ
وعرينُ الليث ديرٌ حبُّهُ فرضٌ وواجب
ليت شعري أيميت النسكُ أم يحيي المواهب ؟
كيف يمحو النسك إثماً وهو إثمٌ ؟

لستُ أدري

انني أبصرتُ في الديرِ وروداً في سياجِ
قنِعتْ بعد الندى الطاهر بالماء الأجاجِ
حولها النورُ الذي يُحيي ، وترضى بالدياجي
أمن الحكمة قتلُ القلب صبراً ؟
لستُ أدري

★

قد دخلتُ الديرَ عند الفجر كالفجر الطروبْ
وتركتُ الديرَ عند الليل كالليل الغضوب
كان في نفسيَ كربٌ صار في نفسي كروب
أمن الديرِ أم الليل اكتئابي ؟
لستُ أدري

قد دخلتُ الديرَ استنطق فيه الناسكينا
فاذا القومُ من الحيْرة مثلي باهتونا
غلبَ اليأس عليهم فهمُ مستسلمونا
وإذا بالبابِ مكتوبٌ عليه :

لستُ أدري



عجباً للناسكِ القانت وهو اللوذعي
هجرَ الناس وفيهم كلّ حسْنٍ المبدع
ومضى يبحثُ عنه في المكان البلقع
أرأى في القفرِ ماءً أم سراباً ؟

لستُ أدري

كم تماري أيها الناسكُ في الحقّ الصريحْ
لو أراد الله أن لا تعشق الشيء المليح
كان إذ سوّاكَ سوّاك بلا قلبٍ وروح
فالذي تفعلُ إثمٌ .. قال اني ...
لستُ أدري

★

أيها الهاربُ إنّ العار في هذا الفرار
لا صلاحٌ في الذي تصنع حتّى للقفار
أنت جانٍ أيّ جانٍ قاتلٌ في غير ثار
أفيرضى الله عن هذا ويعفو ؟
لستُ أدري

بين المقابر

ولقد قلتُ لنفسي وأنا بين المقابرْ
هل رأيتِ الأمنَ والراحة إلا في الحفائر
فأشارت فإذا ، للدودِ عَيْثٌ في المحاجر
ثم قالت : أيها السائل إني
لستُ أدري

★

انظري كيف تساوى الكلّ في هذا المكانِ
وتلاشى في بقايا العبدِ ربّ الصولجانِ
والتقى العاشقُ والقالي فما يفترقانِ

أفهذا منتهى العدل ؟ فقالت :

لستُ أدري

★

إن يكُ الموت قصاصاً ، أيّ ذنب للطهارهْ

وإذا كان ثواباً ، أيّ فضلٍ للدعارهْ

وإذا كان وما فيه جزاءٌ أو خساره

فلِمَ الاسماء إثمٌ وصلاحٌ ؟

لستُ أدري

★

أيها القبر تكلم واخبرني يا رمامْ

هل طوى أحلامك الموتُ وهل مات الغرامْ ؟

من هو المائت من عام ومن مليون عام ؟

أيصير الوقت في الأرماس محواً ؟

لستُ أدري

★

إن يكُ الموتُ رقاداً بعدهُ صحوٌ طويل

فلماذا ليس يبقى صَحْوُنا هــذا الجميل ؟

ولمــاذا المرء لا يدري متى وقت الرحيل ؟

ومتى ينكشف السترُ فيدري ؟

لستُ أدري

★

ان يكُ الموتُ هجوعاً يملأُ النفسَ سـلاما

وانعتاقـاً لا اعتقـالاً وابتداءً لا ختامـا

فلماذا أعشق النوم ولا أهوى الحِمـامـا

ولماذا تجزع الأرواح منه ؟

لستُ أدري

★

أوراءَ القبر بعد الموت بعثٌ ونشورُ

فحياةٌ فخلودٌ أم فناء فدثور

أكلامُ الناس صدق أم كلام الناس زور

أصحيحٌ ان بعض الناس يدري ؟

لستُ أدري

★

ان أكن أبعثُ بعد الموت جثماناً وعقلا

أترى أُبْعَثُ بعضاً أم ترى أبعثُ ُكلاَّ
أترى أبعث طفــلاً أم ترى أبعث كهلا
ثم هل أعرفُ بعد البعث ذاتي ؟

لستُ أدري

★

يا صــديقي لا تعلّلني بتمزيق الســتورِ
بعدما أقضى ، فعقلي لا يبــالي بالقشــورِ
ان أكن في حالة الإدراك لا أدري مصــيري
كيف أدري بعدما أفقد رشدي ؟

لستُ أدري

القصر والكوخ

ولقد أبصرتُ قصراً شاهقاً عالي القبابْ
قلتُ ما شادك من شادك الا للخراب
أنت جزءٌ منه لكن لستَ تدري كيف غاب
وهو لا يعلم ما تحوي . أيدري ؟
لستُ أدري

★

يا مثالاً كان وهماً قبلما شاء البناةُ
أنت فكرٌ من دماغٍ غيّبتْه الظلمات
أنت أمنيّة قلبٍ أكلته الحشَرات

أنت بانيك الذي شادك . لا . لا

لستُ أدري

★

كم قصورٍ خالهـا الباني ستبقى وتدومْ

ثابتــاتٍ كالرواسي ، خــالداتٍ كالنجوم

سحب الدهر عليها ذيلهُ فهي رســوم

ما لنا نبني وما نبني لهدمٍ ؟

لستُ أدري

★

لم أجد في القصر شيئاً ليس في الكوخ المهينِ

أنا في هذا وهذا عبد شــكّي ويقيــني

وسجينُ الخالدينَ الليلِ والصبحِ المبينِ
هل أنا في القصر أم في الكوخ أرقى ؟
لستُ أدري

★

ليس لي في الكوخ أو في القصر من نفسيَ مهرب
إنني أرجو وأخشى ، انني أرضى وأغضب
كان ثوبي من حريرٍ مذهبٍ أو كان قنّب
فلماذا يتمنى الثوب عارٍ ؟
لستُ أدري

★

سائلِ الفجرَ أعند الفجر طينٌ ورخامْ ؟

واسأل القصر الا يخفيه كالكوخ الظلامَ ؟
واسأل الأنجم والريح وسل صوبَ الغمام
أترى الشيءَ كما نحن نراهُ ؟

لستُ أدري

الفِكر

رُبَّ فكرٍ بانَ في لوحة نفسي وتجلّى
خلتُه مني ولكن لم يقم حتى تولى
مثل طيفٍ لاح في بئر قليلاً واضمحلاّ

كيف وافى ولماذا فرّ مني ؟

لستُ أدري

★

أتراهُ سائحاً في الأرض من نفسٍ لأخرى

رابه منيَ أمرٌ فأبى أن يستقرّا

أم تراهُ مرّ في نفسي كما أعبرُ جسرا

هل رأتهُ قبل نفسي غيرُ نفسي ؟

لستُ أدري

★

أتراهُ بارقاً أومضَ حيناً وتوارى

أم تراه كان مثل الطير في سجنٍ فطارا

أم تراهُ انحلّ كالموجة في نفسي وغــارا
فأنا أبحث عنه وهو فيها ؟

لستُ أدري

صِراعٌ وَعِراك

إنني أشــهدُ في نفسي صراعــاً وعراكا
وأرى ذاتيَ شيطانــاً وأحيــاناً ملاكــا
هل أنا شخصان يأبى ذاك مع هذا اشتراكا

آم تراني واهماً فيما أراه ؟

لستُ أدري

★

بينما قلبي يحكي في الضحى احدى الخمائل

فيه أزهارٌ ، وأطيار تغني ، وجداول

أقبل العصر فأمسى موحشاً كالقفر قاحل

كيف صار القلب روضاً ثم قفراً ؟

لستُ أدري

★

أين ضحكي وبكائي وأنا طفلٌ صغيرُ

أين جهلي ومراحي وأنا غضٌ غرير

أينَ احلامي وكانت كيفما سرت تسير

كلها ضاعت ولكن كيف ضاعت ؟
لستُ أدري

★

ليَ ايمانٌ ولكن لا كإيماني ونسكي
انني أبكي ولكن لا كما قد كنتُ أبكي
وأنا أضحك أحياناً ولكن أيّ ضحك !
ليت شعري ما الذي بدّل أمري ؟
لستُ أدري

★

كلّ يوم ليَ شأنٌ كلّ حين لي شعورْ
هل أنا اليوم انا منذُ ليالٍ وشهور
أم أنا عند غروب الشمس غيري في البكور

كلما ساءلت نفسي جاوبتني :

لستُ أدري

★

رُبَّ أمرٍ كنت لمّا كان عندي أتّقيهِ

بتُّ لما غاب عني وتوارى اشتهيهِ

ما الذي حبّبه عندي وما بغّضنيهِ

أأنا الشخص الذي أعرض عنه ؟

لستُ أدري

★

رُبَّ شخصٍ عشتُ معْه زمناً ألهو وأمزحْ

أو مكانٍ مرّ دهرٌ وهو لي مسرى ومسرح

لاح لي في البعد أجلى منه في القرب وأوضح

كيف يبقى رسم شيءٍ قد توارى ؟
لستُ أدري

★

رُبَّ بستانٍ قضيتُ العمر أحمي شجَرَه
ومنعتُ الناس أن تقطف منـــه زَهرَه
جاءت الأطيـــار في الفجر فناشت ثَمرَه
ألأطيارِ السما البستانُ أم لي ؟
لستُ أدري



رُبَّ قبحٍ عند زيدٍ هو حُسْنٌ عند بكرِ
فهما ضدان فيه وهو وهمٌ عنـــد عمروِ

فمَن الصادقُ فيما يَدّعيه ليت شعَري
ولماذا ليس للحسنِ قياسٌ ؟
لستُ أدري

★

قد رأيتُ الحسنَ يُنْسى مثلما تُنسى العيوبُ
وطلوع الشمس يرجى مثلما يرجى الغروب
ورأيت الشرّ مثل الخير يمضي ويؤوب
فلماذا أحسب الشر دخيلا ؟
لستُ أدري

★

إن هــذا الغيث يهمي حين يهمي مكرَها

وزهور الروض تفشي مجبراتٍ عطرهـا
لا تطيق الارضُ تخفي شوكها أو زهرها
لا تسل أيهما أشهى وأبهى ؟

لستُ أدري



قد يصير الشوك اكليلاً لملْك أو نبيّ
ويصير الوردُ في عروة لصٍ أو بغـيّ
أيغــار الشوكُ في الحقل من الزهر الجنيّ
أم ترى يحسبه أحقرَ منه ؟

لستُ أدري

قد يقيني الخطرَ الشوكُ الذي يجرح كفّـي
ويكون السّمّ في العطر الذي يمـلأ أنفـي
إنمـا الوردُ هو الأفضل في شرعي وعرفي
وهو شرع كله ظلمٌ ولكن ..

لستُ أدري

★

قـد رأيتُ الشهبَ لا تدري لمـاذا تشرقُ
ورأيت السـحب لا تدري لمـاذا تغـدق
ورأيتُ الغـاب لا تـدري لمـاذا تورق
فلماذا كلها في الجهل مثلي ؟

لستُ أدري

كلما أيقنتُ اني قد أمطْتُ الستر عني
وبلغتُ السرّ سري ، ضحكت نفسيَ مني
قد وجدت اليأس والحيرة لكن لم أجدني
فهل الجهل نعيمٌ أم جحيمٌ

لستُ أدري

★

لذّةٌ عنديَ أن أسمعَ تغريدَ البلابل
وحفيف الورق الاخضر أو همسَ الجداول
وأرى الانجم في الظلماء تبدو كالمشاعل
أترى منها أم اللذّة مني ؟

لستُ أدري

أتراني كنتُ يوماً نَغَماً في وتـرِ
أم تراني كنت قبلاً موجةً في نهـرِ
أم تراني كنت في احدى النجوم الزُهُرِ
أم أريجاً أم حفيفاً أم نسيماً ؟
لستُ أدري

★

فيّ مثلَ البحر أصدافٌ ورملٌ ولآلْ
فيّ كالأرض مروجٌ وسفوحٌ وجبال
فيّ كالجوّ نجومٌ وغيومٌ وظلال
هل أنا أرضٌ وبحرٌ وسماءٌ ؟
لستُ أدري

من شرابي الشـهدُ والخمرةُ والماء الزلالْ
من طعامي البقلُ والأثمارُ واللحمُ الحلال
كم كيانٍ قـد تلاشى في كياني واستحال
كم كيانٍ فيه شيءٌ من كياني ؟
لستُ أدري

★

أأنا أفصح من عصفورة الوادي وأعذبْ ؟
ومن الزهرة أشهى ؟ وشذى الزهرة أطيب ؟
ومن الحيّة أدهى ؟ ومن النملة أغـرب ؟
أم أنا أوضع من هذي وأدنى ؟
لستُ أدري

كلهـا مثليَ تحيا . كلهـا مثلي تمـوت
ولهـا مثلي شرابٌ ، ولهـا مثليَ قـوتُ
ورقـادٌ وانتبـاهٌ وحـديثٌ وسـكوتُ
فبماذا أمتازُ عنها ليت شعري ؟
لستُ أدري

★

قد رأيتُ النمل يسـعى مثلما أسعى لرزقي
وله في العيش أوطـارٌ وحقٌّ مثـل حقي
قد تساوى صمتهُ في نظر الـدهر ونطقـي
فكلانا صائرٌ يوماً إلى ما
لستُ أدري

أنا كالصهباء ، لكن أنا صهبـائي ودنّي

أصلها خافٍ كأصلي ، سجنها طينٌ وسجني

ويُزاح الختم عنهـا مثلمـا ينشقّ عني

وهيَ لا تفقه معناها ، واني

لستُ أدري

★

غلطَ القـائلُ ان الخمرَ بنتُ الخـابيه

فهيَ قبل الزقّ كانت في عروق الداليه

وحواها قبلَ رحمِ الكرم رحمُ الغاديه

إنما من قبلِ هذا أينَ كانت ؟

لستُ أدري

هي في رأسيَ فكرة وهي في عينيَ نورُ
وهيَ في صدريَ آمالٌ ، وفي قلبي شعورُ
وهي في جسمي دمٌ يسربُ فيه ويمورُ
إنما من قبل هذا كيف كانت ؟

لستُ أدري

★

أنا لا أذكرُ شيئاً من حياتي الماضيه
أنا لا أعرفُ شيئاً من حياتي الآتيه
ليَ ذاتٌ غير اني لستُ أدري ماهيه
فمتى تعرفُ ذاتي كنهَ ذاتي ؟

لستُ أدري

انني جئتُ وأمضي ، وأنــا لا أعلمُ
أنــا لغزٌ ، وذهــابي كمجيئي طلسمُ
والذي أوجــد هــذا اللغزَ لغزٌ مبهمُ
لا تجادل .. ذو الحجى من قال انني
لستُ أدري

الدّمعة الخرساء

سمعتُ عويل النائحات عشيةً   في الحي يبتعث الاسى ويثير
يبكين في جنح الظلام صبيّةً   ان البكاء على الشباب مرير
فتجهمتْ وتلفّتت مرتاعة   كالظبي أيقن أنه مأسور
وتحيرت في مقلتيْها دمعةٌ   خرساء لا تهمي وليس تغور
فكأنها بطل تكنّفه العدى   بسيوفهم وحسامه مكسور
وجمت فأمسى كل شيءٍ واجماً   النور والأظلال والديجور

الكون اجمعُ ذاهل لذهولها حتى كأن الأرض ليس تدور

لا شيءَ مما حولنا وأمامنا حسنٌ لديها والجمال كثير

سكت الغدير كأنما التحفَ الثرى

وسها النسيم كأنه مذعور

وكأنما الفلك المنوّر بلقع والانجم الزهراء فيه قبور

كانت تمازحني وتضحك فانتهى

دور المزاح فضحْكها تفكير

قالت وقد سلخ ابتسامتَها الأسى

صدق الذي قال الحياةُ غرور

أكذا نموت وتنقضي أحلامنا في لحظة وإلى التراب نصير

خيرٌ اذن منا الألى لم يولدوا ومن الانام جلامد وصخور

ومن العيون مكاحل ومراود ومن الشفاه مساحق وذرور

ومن القلوب الخافقات صبابةً قصبٌ لوقع الريح فيه صفير

وتوقفتْ فشعرتُ بعد حديثها ان الوجود مشوّش مبتور

الصيف ينفث حرّه من حولنا وأنا أحس كأنني مقرور

صارت إلى قلبي الشكوك فنغّصت

ليلي ، وليس مع الشكوك سرور

وخشيت أن يغدو مع الريب الهوى

كالرسم لا عطر وفيه زهور

وكدمية المثّال حسنٌ رائع ملأ العيون وليس ثم شعور

فأجبتها لتكن لديدان الثرى أجسامنا ! ان الجسوم قشور

لا تجزعي فالموت ليس يضيرنا فلنا إياب بعده ونشور

إنا سنبقى بعد أن يمضي الورى ويزول هذا العالم المنظور

فالحب نور خالد متجرّد لا ينطوي إلا ليسطع نور

وبنو الهوى احلامهم ورؤاهم لا أعين ومراشف ونحور

فإذا طوتنا الارض عن أزهارها

وخلا الدجى منا وفيه بدور

فسترجعين خميلة معطارة أنا في ذراها بلبل مسحور

يشدو لها ويطير في جنباتها فتهش إذ يشدو وحين يطير

أو جدولا مترقرقاً مترنماً انا فيه موج ضاحك وخرير

أو ترجعين فراشة خطارة انا في جناحيها الضحى الموشور

أو نسمة أنا همسها وحفيفها أبداً تطوف في الربى وتدور

تغشى الخمائل في الصباح بليلة وتؤوب حين تؤوب وهي عبير

أو تلتقي عند الكثيب على رضى وقناعة صفصافة وغدير

تمتد فيه وفي ثراه عروقها ويسيل تحت فروعها ويسير

ويغوص فيه خيوطها فيلفه ويشف فهو المنطوي المنشور

يأوي إذا اشتد الهجير اليهما ألناسكان الظبي والعصفور

لهما سكينتها ووارف ظلها والماء ان عطشا لديه وفير

اعجوبتان زبرجد متهدل نامٍ ، تدفق تحته البلّور

لا الصبح بينهما يحول ولا الدجى

فكلاهما بكليهما مغمور

تتعاقب الايام وهي نضيرة مخضرّةُ الاوراق وهو نمير

فالدهر أجمعه لديها غبطة والدهر أجمعه لديه حبور

فتبسّمتْ وبدا الرضا في وجهها

إذ راقها التمثيل والتصوير

عالجتها بالرهم وهي قريرة ولكم أفاد الموجعَ التخدير

ثم افترقنا ضاحكين إلى غدٍ والشهب تهمس فوقنا وتشير

هي كالمسافر آبَ بعد مشقة وأنا كأني قائد منصوْر

★

لكنني لما أويت لمضجعي خَشُنَ الفراش عليّ وهو وثير

وإذا سراجي قد وهت وتلجلجت

أنفاسه لكأنه المصدور

وأجلْت طرفي في الكتاب فلاح لي

كالرسم مطموساً وفيه سطور

وشربت بنت الكرم أحسب راحتي

فيها فطاش الظنّ والتقدير

فكأنني فُلك وهتْ أمراسها والبحر يطغى حولها ويثور

سلب الفؤادَ رؤاه والجفنَ الكرى

همٌّ عرا فكلاهما موتور

حامتْ على روحي الشكوك كأنها
وكـأنَهــن فريسـة وصقـور
ولقد لجأتُ إلى الرجاء فعقّني أما الرجاء فخائب مـدحور
يا ليلُ أين النور ؟ إني تائـه مرْ ينبثقْ أم ليس عندك نور
أكذا نموت وتنقضي أحلامنا في لحظة وإلى التّراب نصير

كم تشتكي

كم تشتكي وتقول إنك مُعْدِم والارض ملكك والسما و الانجم
ولك الحقول وزهرها وأريجها ونسيمها والبلبل المترنم
والماء حولك فضة رقراقة والشمس فوقك عسجد يتضرم
والنور يبني في السفوح وفي الذرى
دُوراً مزخرفة وحيناً يهدم
فكأنه الفنان يعرض عابثاً آياته قدّام من يتعلم

وكأنه لصفائه وسنائه بحر تعومُ به الطيور الحوم
هشّت لك الدنيا فمالك واجماً وتبسّمتْ فعلام لا تتبسم
ان كنت مكتئباً لعزٍ قد مضى هيهات يرجعه إليك تندّم
أو كنت تشفق من حلول مصيبة
هيهات يمنع ان تحلّ تجهّم
أو كنت جاوزت الشباب فلا تقل
شاخ الزمان فإنه لا يهرم
انظر فما زالت تطلّ من الثرى صورَ تكاد لحسنها تتكلّم
ما بين أشجار كأن غصونها ايدٍ تصفّق تارة وتسلّم
وعيون ماء دافقات في الثرى تشفي السقيم كأنما هي زمزم
ومسارح ُفتن النسيم بحسنها فسرى يدندن تارة ويهمهم
فكأنه صبٌّ بباب حبيبه متوسل مستعطف مسترحم

والجدول الجذلان يضحك لاهياً والنرجس الولهان مغفٍ يحلُم
وعلى الصعيد ملاءةٌ من سندس وعلى الهضاب لكل حسن مبسم
فهنا مكانٌ بالأريج معطر وهناك طود بالشعاع معمم
صور وآيات تفيض بشاشة حتى كأن الله فيها يبسم
فامشِ بعقلك فوقها متفهماً ان الملاحة ملك من يتفهم
أتزور روحَك جنةٌ فتفوتها كيما تزورك بالظنون جهنم
وترى الحقيقة هيكلاً متجسداً فتعافها لوساوسٍ تتوهم
يا من يحنّ إلى غد في يومه قد بعتَ ما تدري بما لا تعلم

★

قمْ بادر اللذّاتِ قبل فواتها ما كلّ يومٍ مثل هذا موسمُ
واشربْ بسرّ الحصن سرّ شبابه وارو أحاديثَ المروءةِ عنهمُ

المعرِضين عن الخنا ، فإذا علا
صوتٌ يقول: «إلى المكارم» أقدَموا
الفاعلين الخيرَ لا لطماعةٍ في مغنمٍ إنّ الجميلَ المغنمُ
أنتَ الغنيّ إذا ظفرت بصاحب منهم وعندك للعواطف منجم
رفعوا لدينهمِ لواءً عالياً ولهم لواءٌ في العروبةِ معلَمُ
إنْ حاز بعض الناس سهماً في العلى
فلهمْ ضروبٌ لا تُعَدّ وأسهمُ
لا فضلَ لي إن رحت أعلن فضلهم
بقصائدي . إنّ الضحى لا يُكتَمُ
لكنّني أخشى مقالةَ قائلٍ هذا الذي يثني عليهم منهم
أحبابنا ما أجملَ الدنيا بكم لا تقبحُ الدنيا وفيها أنتم

متى يذكرُ الوطنَ النومُ

جلستُ وقد هجع الغافلون أفكّر في أمسنا والغدِ
وكيف استبد بنا الظالمون وجاروا على الشيخ والأمرد
فخلت اللواعجَ بين الجفون وانّ جهنم في مرقدي
وضاق الفؤاد بما يكتم فارسلتِ العين مدرارها

★

ذكرت الحروب وويلاتها وما صنع السيف والمدفعُ

وكيف تجور على ذاتهــــا شعوب لها الرتبة الأرفــع
وتخضب بالدم راياتهــا وكانت تذمّ الذي تصنــع
فباتت بما شيّدت تهــدم صروح العلوم وأسرارها

★

نســاء تجود بأولادهـــا على الموت والموتُ لا يرحــم
وجنْــد تجود بأكبادهـــا على الأرض والأرض لا تعلم
وتغدو الطيور بأجسادهــا فان عطشتْ فالشراب الدم
وفي كل منــزلة مــأتم تشق بها الغيد ازرارهـــا

★

لقد شبع الذئب والأجــدلُ وأقفرت الــدور والأربُع
فكم يقتل الجحفل الجحفــل ويفتك بالاروعِ الاروع
ولن يرجع القتل من قتّلوا ولن يستعيد الذي ضيعـوا

فبئس الألى بالوغى علّموا وبئس الألى أجّجوا نارهـا

★

أمن أجل أن يسلم الواحد تُطل الدماء وتفنى الالوف
ويزرع أولادَه الوالـدُ لتحصدَهم شفرات السيوف
أمورٌ يحار بها الناقـد وتُدمي فؤاد اللبيب الحصيف
فيا ليت شعري متى يفهـم معاني الحياة وأسرارها

★

وحوّلت طرفي إلى المشرق فلم أرَ غير جبال الغُيوم
تحوم على بدره المشـرق كما اجتمعت حول نفسي الغموم
فأسندت رأسي إلى مرفقي وقلت وقد غلبتني الهموم
بربّكِ أيتها الانجـم متى تضع الحرب أوزارها

كما يقتل الطير في الجنـــة ويقتنص الظبي في السبسب
كذلك يجنى على أمـــتي بلا سبب وبلا موجـــب
فحتّــام تؤخــذ بالقوة ويقتصّ منها ولم تــذنـب
وكم تستكين وتستسلم وقد بلغ السـيل زنّارهـا

★

وسيقت إلى النطع سَوْق الغنم مغاويرها ورجال الأدب
وكل امرئ لم يمت بالخـــذم فقد قتلوه بسيف السّغب
فما حرّك الضيمُ فيها الشمم ولا رؤية الدم فيها الغضب
تبدّلت النـاس والأنجم ولمـا تُبـدّل أطوارهـا

★

أرى الليث يدفع عن غيضته بأنيـــابه وبأظفـــاره
ويجتمع النمل في قريتـــه إذا خشي الغدر من جاره

ويخشى الجزار على وكنته فيدفع عنها بمنقاره
فلا الكاسرات ولا الضيغم ولا الشاة تمدح جزّارها

★

عجبت من الضاحك اللاعب وأهلوه بين القنا والسيوف
يبيتون في وجَل ناصب فان نصبوا أُلجئوا للكهوف
وممن يصفّق للضارب واحبابه يجرعون الحتوف
متى يذكر الوطنَ النوّمُ كما تذكر الطير أوكارها

عروس الجمال

إذا أطلّ البدر من خدره فإنما يطلع كي تنظريه
وإن شدا البلبل في وكره فإنما يشدو لكي تسمعيه
وإن يفُح عطر زهور الربى فإنما يعبق كي تنشقيه

يا ليتني البدرُ الذي تنظرين
يا ليتني البدر الذي تسمعين !
يا ليتني العطر الذي تنشقين !
أواه ! لو تصدق يا ليتني !

ابنة الفجر

أنا إن أغمضَ الحِمامُ جفوني
ودوى صوت مصرعي في المدينه
وتمشّى في الأرض داراً فداراً فسمعتِ دويّه ورنينه
لا تصيحي واحسرتاه لئلا يدرك السامعون ما تضمرينه
وإذا زرتني وأبصرتِ وجهي قد محا الموت شكّه ويقينه
ورأيت الصحاب جاثين حولي يندبون الفتى الذي تعرفينه

وتعالى العويل حولك ممـــن مارسوه وأصبحوا يحسنونه

لا تشقّي عليّ ثوبكِ حزنــاً لا ولا تذرفي الدموع السخينه

غالبي اليأس واجلسي عندنعشي بسكونٍ ، إني أحب السكينه

إن للصمت في المـآتم معنى تتعزى به النفوس الحزينـه

ولَقولُ العذّال عنكِ (بخيله) هو خير من قولهم (مسكينه)

وإذا خفت ان يثور بك الوجد فتبدو أسرارنا المكنونـــه

فارجعي واسكبي دموعك سراً وامسحي باليدين ما تسكبينـه

★

يا ابنة الفجر من أحبك ميت ولأنتِ بمثل هــذا مهينــه

زايلَ النور مقلتيه وغابـت تحت أجفانه المعاني المبينــه

فأصيخي ! هل تسمعين خفوقاً كنتِ قبلاً في صدره تسمعينه

وانظري ثم فكري كيف أمسى
ليس يدري عــدوّه وخدينه

ساكناً لا يقول شئاً ولا يسـ ـمع شيئاً وليس يبصر دونه
لا يبالِ أأودعوه الثريّا أم رمَوه في حمأة مسنونه
وإذا الحارسان ناما عياءً ورأيتِ أصحابه يتركونه
فتعالي وقبّلي شفتيه ويديه وشعره وجبينه
قبل أن يُسدل الحجابُ عليه ويُوارى عنك فلا تبصرينه
واحذري ان تراكِ عين رقيبٍ ولئن كان جلّ ما تحذرينه
فاذا ما أمنت لا تتركيه قبلما يفتح الصباح جفونه

★

وإذا الساعة الرهيبة حانت ورأيت حرّاسه يحملونه
وسمعت الناقوس يقرع حزناً فيردّ الوادي عليه أنينه

زوّدي الراحل الذي مات وجداً بالذي زوّد الغريق السفينه
نظرة تعلمُ السماوات منها أنه مات عن فتاة أمينه

★

طوت الارض من طوى الارضَ حياً
وعلاه من كان بالأمس دونه
واختفى في التراب وجه صبيح وفؤاد حرّ ونفسٌ مصونه
وإذا ما وقفتِ عند السواقي وذكرتِ وقوفه وسكونه
حيث أقسمت أن تدومي على العهـ
ـد وآلى بأنه لن يخونه
حيث علّمته القريض فأمسى يتغنى كي تسمعي تلحينه
فاذكريه مع البروق السواري واندبيه مع الغيوث الهتونه
وإذا ما مشيت في الروض يوماً ووطئتِ سهوله وحزونه

وذكرتِ مواقف الوجد فيه عندما كنت بالهوى تُغرينه

حيث علّمته الفتون فأضحى يحسب الأرض كلها مفتونه

حيث وسّدته يمينَك حتى كاد ينسى شماله ويمينه

حيث كنت وكان يسقيك طوراً من هواه وتارة تسقينه

حيث حاكَ الربيع للروض ثوباً

كان أحلى لديه لو ترتدينه

فالثمي كل زهرة فيه إني كنت أهوى زهوره وغصونه

ثم قولي للطير : مات حبيبي ! فلماذا يا طير لا تبكينه ؟

★

وإذا ما جلست وحدك في الليـ ـل وهاجت بك الشجون الدفينه

ورأيت الغيوم تركض نحو الغر ب ركضاً كأنها مجنونه

ولحظتِ من الكواكب صداً ونِفاراً وفي النسيم خشونه

فغضبت على الليالي البواقي وحننت إلى الليالي الثمينهْ

فاهجري المخدع الجميل وزوري

ذلك القبرَ ثم حيّي قطينــــهْ

وانثري الورد حوله وعليـــه واغرسي عند قلبه ياسمينهْ

الغرابُ والبُلبُل

قال الغراب وقد رأى كلَفَ الورى

وهيامهم بالبلبل الصدّاحِ

لمَ لا تَهيم بيَ المسامع مثله ماالفرق بين جناحه وجناحي

اني أشدّ قوى وأمضى مخلباً فعلام نام الناس عن تمداحي ؟

★

أمفرّقَ الاحباب عن أحبابهم ومكدّرَ اللذّات والأفراح

كم في السوائل من شبيه بالطلى   فعلام ليس لها مُقام الراح ؟

ليس الحظوظ من الجسوم وشكلها

السرّ كلّ السرّ في الأرواح

والصوت من نِعم السماء ولم تكن

ترضى السما إلا عن الصدّاح

حكم القضاء فان نقمت على القضا   فاضرب بعنقك مُدية الجراح

يا شذاهن

رُبَّ ليلٍ نجومُهُ ضاحكاتٌ مثلَ أحلامِ غادةٍ في صباها
لمستْ إصبعَ السكينةِ أشـوا قي فهبّت مذعورة من كراها
كطيورٍ في الأسر تبغي انعتاقاً قبلَ أن يُفسِدَ الاسارُ لُغاهـا
أبِقَ النومُ، فانطلقتُ إلى النهـر بنفسٍ كادت تسيلُ دماها

---

* هذه القصيدة كان صاحب الديوان قد نشرها في « الخمائل » معدلة بعنوان « ليل الأشواق » وقد آثرنا أن نثبتها هنا بنصها المعدل .

ومعي صاحبٌ رقيقُ الحواشي   تجدُ النفسُ في رُؤاهُ رؤاها
ان دجتْ ليلةٌ أراكَ ضحاهـا   أو ذوت زهرةٌ أراكَ شذاهـا

★

قال: ما أجملَ الكواكبَ! مـا   أحلى سناها! فقلت: ما أحلاها
قال: لا شوقَ لا صبابةَ لولا   ها! فتمتمتُ قائلاً: لولاها!
قال: هل تشتهي الوصول اليها؟   قلت: اني لا اشتهي الآها!

★

كان طرفي يجولُ في العالمِ الأ   على وروحي تجولُ في مغناهـا
وجليسي يظن في الشهب قصدي   وانا أحسَبُ الجليسَ عناهـا
قال: والنهرُ كم طوى من صَبَابا   تٍ! فأطرقتُ استشِفّ المياهـا
فاذا النهرُ فيهِ رعشةُ روحي   حين يدوي فيها صدى ذكراها

قال : والليل.. قلت حسبك إعنا ت لنفسي وحسب نفسي دجاها
فانقطعنا عن الكلامِ وبتنا كلّ نَفسٍ لِذاتِها نجواها

★

خِلتُ أني إذا بَعدتُ سأنسا ها ويطوي الزمان سفرَ هواها
وتوهمّت انني سوف ألقى ألفَ ليلى وألفَ هندٍ سواها
فاذا الحبّ كالفضاء وقلبي طائرٌ في الفضاء ضلّ وتاها
أنا في عالمٍ قَصِيٍّ سَحيق لاأراها لكنّ روحي تراها
قد نشقتُ الأزهار في كل أرضٍ ياشَذاهنّ لستَ مثلَ شذاها
كيف أنسى وأينما سِرتُ في الد نيا أراني أسيرُ في دنياها
وإذا ما لمحتُ في الأرض حسناً فكأني لمحتها إياها
وإذا داعبَ النسيمُ ردائي قلتُ: قد علّمته هذا يداها!
هيَ أدنى من الأماني إلى قلـ بي، وقلبي يصيحُ: ما أقصاها

لستُ أشكو النوى مَلالاً ولكن طربُ الروحِ ان تُذيع جوَاها

★

قال قومٌ : إنّ المحبة إثمٌ ! وَيْحَ بعضِ النفوس ما أغباها

إنّ نفساً لم يُشرِق الحبّ فيها هيَ نفسٌ لم تدرِ ما معناهــا

خوّفوني جهنّماً ولظاهـا أيّ شيءٍ جهنّمٌ ولظاها ؟

ليس عند الالهِ نارٌ لذي حبٍ ونارِ الانسان لا أخشاها !

أنا في الحبّ قد وصلت إلى نفسي وبالحب قد عرفتُ الله !

من أدب الزنوج

فوق الجميْزةِ سنجابُ والأرنب تمرح في الحقلِ
وأنا صيّاد وثّابُ لكن الصيد على مثلي
محظور إذ اني عبد

والديك الابيض في القنّ يختال كيوسفَ في الحسنِ
وأنا أتمنى لو أني أصطاد الديك ولكني
لا أقدر إذ اني عبد

وفتاتي في تلك الـــدار سوداء الطلعـــة كالقـــار
سيجيء ويأخذهـــا جـاري يا ويحي من هـــذا العـــار
أفلا يكفي اني عبد ؟ !

غرامية

عيناكِ والسحر الذي فيهما صيّرتاني شاعراً ساحرا
علّمتِني الحب وعلّمته بدر الدجى والغصن والطائرا
ان غبتِ عن عيني وجنّ الدجى سألت عنك القمر الزاهرا
وأطرقُ الروضة عند الضحى كيما أناجي البلبل الشاعرا
وانشق الوردة في كمّها لأن فيها أرجاً عاطرا
يذكّر الصب بذاك الشذا هل تذكرين العاشق الذاكرا

كم نائمٍ في وكره هانئٌ نبّهته من وكره باكــــرا
أصبحَ مثلي تائهــاً حائـرا لمـا رآني في الربى حائـرا
وراح يشكو لي وأشكو له بطش الهوى والهجر والهاجرا
وكوكب أســمعته زفرتـي فبات مثلي ســاهياً ساهرا
زجرت حتّى النوم عن مقلتي ولم أبالِ اللائم الزاجـرا
يا ليت اني مثلٌ ســائر كيما تقول المثـل الســائرا

الفقير

همٌّ ألمّ بـه مع الظلماء فنأى بمقلته عن الإغفـاء
تعِس أقام الحزن بين ضلوعه والحزن نارٌ غير ذات ضيـاء
يرعى نجوم الليل ليس بـه هوى
ويخاله كلِفاً بهـن الـرائي
في قلبه نار (الخليل) وإنمـا في وجنتيه أدمع (الخنساء)
قد عضه اليأس الشديد بنابه في نفسه والجوع في الاحشاء

يبكي بكاء الطفل فارقَ أمه ما حيلة المحزون غير بكاء !

فأقام حِلْس الدار وهو كأنه — لخلوّ تلك الدار — في بيداء

حيران لا يدري أيقتل نفسه عمداً فيخلص من أذى الدنياء

أم يستمر على الغضاضة والقذى والعيشُ لا يحلو مع الضراء

طرد الكرى وأقام يشكو ليله يا ليل طلتَ وطال فيك عنائي

يا ليل قد أغريت جسمي بالضنا حتى ليؤلم فقدُه أعضائي

ورميتني يا ليل بالهمّ الذي يفري الحشا ، والهمّ أعسر داء

يا ليل مالكَ لا ترقّ لحالتي أتُراكَ والايام من أعدائي ؟

يا ليل حسبي ما لقيت من الشقا

رحماك لستُ بصخرة صماء

بِنْ يا ظلام عن العيون فربما طلع الصباح وكان فيه عزائي

وارحمتا للبائسين فإنهم موتى وتحسبهم من الأحياء

إني وجدت حظوظهم مسودّة فكأنما قُدّت من الظلماء

أبداً يسرّ بنو الزمان وما لهم حظٌّ كغيرهمُ من السرّاء

ما في اكفّهم من الدنيا سوى ان يُكثروا الأحلام بالنعماء

تدنو بهم آمالهم نحو الهنا هيهات يدنو بالخيال النائي

بطر الأنام من السرور وعندهم ان السرور مرادف العنقاء

إني لأحزن أن تكون نفوسهم

غَرَضَ الخطوب وعرضة الأرزاء

أنا ما وقفت لكي أشبّب بالطلا مالي وللتشبيب بالصهباء ؟

لا تسألوني المدح أو وصف الدمى

إني نبذت سفاسف الشعراء

باعوا لأجل المال ماء حياتهم مدحاً وبتّ أصون ماء حياتي

لم يفهموا ما الشعر ، الا انه قد بات واسطةً إلى الإثراء

فلذاك ما لاقيت غير مشبب بالغانيات وطالبٍ لعطاء
ضاقت به الدنيا الرحيبة فانثنى بالشعر يستجدي بني حوّاء
شقيَ القريض بهم وما سعدوا به
لولاهمُ أضحى من السعداء
نادوا علينا بالمحبة والهوى وصدورهم طبعت على البغضاء
ألِفوا الرياء فصار من عاداتهم
لعن المهيمنُ شخص كل مرائي !
إن يغضبوا مما أقول فطالما كره الأديبَ جماعةُ الغوغاء
أو ينكروا أدبي فلا تتعجبوا فالرُمْد يؤلمهم طلوع ذُكاء
أوَ كلما نصر الحقيقة فاضلٌ قامت عليه قيامة السفهاء
أنا ما وقفت اليوم فيكم موقفي إلا لأندب حالة التعساء
علّي أحرك بالقريض قلوبكم ان القلوب مواطن الأهواء

لهفي على المحتاج بين ربوعكم ُيمسي ويُصبح وهو قيد شقاء ِ
أمسى سواءً ليله وصباحه شتّان بين الصبح والأ ِمساء
قطع القَنوطُ عليه خيط رجائه والمرء لا يحيا بغير رجـاء
لهفي ! ولو أجدى التعيس َ تلهّفي
لسفكت دمعي عنده ودمائي
قلْ للغنيّ المستعز بمـاله مهلاً لقد أسرفت في الخيلاء
جُبل الفقير اخوك من طين ٍ ومن
ماء ، ومن طين جُبلتَ وماء
فمن القساوة أن تكون منعّماً ويكون رهن مصائب وبلاء
وتظل ترفل بالحرير أمامه في حين قد أمسى بغير كساء
أتضنّ بالدينار في اسعافه وتجود بالآلاف في الفحشاء ؟
انصر أخاك فان فعلت كفَيْته ذلّ السؤال ومنة البخلاء

وذَوي اليسار وما اليسار بنافع إن لم يكن أهلوه اهلَ سخاء
كم ذا الجحود ومالكم رهن البلى
وبمَ الغرور وكلكم لفناءِ ؟
ان الضعيف بحاجة لنضاركم لا تقعدوا عن نصرة الضعفاء
أنا لا أذكّر منكم أهل الندى ليس الصحيح بحاجة لدواء
ان كانت الفقراء لا تجزيكم فالله يجزيكم عن الفقراء

فهرست

